الجامعة الإسلامية – غـزة
عمادة الـدراسات العليـا
كلية أصـــول الـديـــن
قسم التفسير وعلوم القرآن

السرائر في ضوء القرآن الكريم

"دراسـة موضوعيـة"

إعداد الطالبة
زينب حسين موسى أبو مور

إشراف الدكتور
زهدي محمد أبو نعمة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهـــــــداء

إلـــى آمـــلٍ مـــن الـــرحمن فـــي كـــسوة عنـــد انكـــشاف الأســـتار.

إلـــــى كـــــل مـــــؤمن يقـــــظ الـــــضمير نقـــــي الإســـــرار.

إلـــــى المخلـــــصين فـــــي هـــــذه الأمـــــة المتقـــــين الأبـــــرار.

إلـــــى والـــــديّ الكـــــريمين وســـــعتهما رحمـــــة العزيـــــز الغفـــــار.

إلـــــى زوجـــــي وأولادي أدام الله وصـــــلهم فـــــي دار القـــــرار.

إلى إخوتي وأخواتي وكل من أحببتـــــهم في الله وصحبـــــة المختـــــار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكـــــر وتقديـــــر

أشكر الله - تعالى - على ما هيأ لإتمام هذا البحث من أسباب ، وذلل في تحـصيل معلومـه كثيراً من الصعاب ، أشكره شكر لائذٍ بحماه ، ومنقطعٍ لمنه ورضاه ، ومعترفٍ بعجز نفـسه وكلل قلمه، وافتقار همته لكلأ خالقه ومولاه .

وبعد فإنّ الحر – عند أهل العلم – من راعى وداد لحظة ، وانتمى لمن علمه لفظـة ، وإنـي من هذا المنطلق أتقدم بباقة شذية من الشكر الخالص إلى أستاذي الفاضل الـدكتور / زهـدي أبو نعمة – حفظه الله تعالى – الذي تفضل بقبول الإشراف على هذا البحث ، فقد أسدى إليـه وافر نصحه وإرشاده ، وآزره بالتوجيه حتى استوى على سوقه ، فكان بفضل الله – تعالى – إلى الصواب ردءا، وإلى الأفضل ناصحا ومرشدا ، فجزاه الله – تعالى – عني وعـن طلبـة العلم خير الجزاء ،كما أتوجه بشكري وتقديري إلى أستاذيّ الكريمين عضويّ لجنة المناقشة:

فضيلة الدكتور: رياض محمود قاسم

وفضيلة الدكتور: جمال محمود الهوبي

حيث سعدت بقبولهما مناقشة هذا البحث

وأسجل شكري وامتناني لواحة العلم وراعيته ، وحاضنة الأدب وداعيته ، الجامعة الإسلامية لما أودعته علومها في النفوس من كريم المناقب ، ولما أورثته في الأجيال من التطلع لخالص المآرب ، كما أتقدم بشكري وتقديري إلى مرتع الفضيلة الخصب ، ومنبع التربيـة العـذب ، كلية أصول الدين، تلك الكلية التي جعلها الله تعالى سببا لهداية القلوب ، وسدا إيمانيا منيعـا لا تزلزله الخطوب ، فجزى الله العاملين فيها خير الجزاء و أجزل لهم في العاقبة العطاء .

والشكر موصول لكل من أفادني بجواب ، أو أمّدني بكتاب، أو أرشدني إلى الصواب، أو دعا لي دعوة في ظهر الغيب خالصة ، لكل هؤلاء مني فيض شكر وتقدير وامتنان .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمـــــة :

الحمد لله العزيز الوهاب ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقـــاب ، خلـــق الخلـــق لعبادتـــه وأمرهم بإصلاح الطوية قبل بلوغ الحساب ، وجعل إخلاصهم له شرطا لحسن المآب .

أرسل رسوله بالهدى فأماط عن وجه الحق النقاب ، وأيده بجامع القـــول وبينـــات الكتـــاب، تبصرة وذكرى لكل عبد أناب ، فالصلاة والسلام عليه وعلى الآل والأصحاب ما تنفس صبح ورقرق جدول وانساب . أما بعد :

فإن كتاب الله عز جل فصل قوله ، سابق فوته ، زاخر بعظيم المعاني ، قائم براسخ المبـــاني قد تنسم عبقه السالكون ،ومنع فضله الخاسرون ، وإني قد أجلت النظر في روضـــات آياتـــه، وأرحت الفكر في وارف فيضه ونفحاته ، فطاب في نفسي معنى زكي ومنهـــل نـــدي رأيـــت عظيم الحاجة إلى سبره ، وجليل الأرب في تحقيق خبره ، فعزمت بعون الله وفـــضله علـــى البحث في السرائر في ضوء القرآن الكريم ، وقد خصصت بالبحث موضوع الـــسرائر لمـــا تيقنت بأن فسادها لا ينفع معه صلاح ظاهر ، لعلي بذلك ألتمس دروب القاصـــدين ، وأنيـــر بمشكاة الحقيقة طريق الباحثين ، ولا يخفى على كل ذي قلب سليم وروية مـــا فـــي التفـــسير الموضوعي من نفع وأهمية يسعى إليها أصحاب الدراسات الشرعية ، وكذا ما في هذا اللـــون من التفسير، من فتح باب الإبداع والتفكير ، بوضع حلـــول لنوائـــب تـــشتكي منهـــا الأمـــة وتستجير، لعلها بذلك يستقيم لها المسير ، فتدفع عن بنيها أسباب الوهن ،وتستقي مـــن هـــدي القرآن دروس الزمن .

ولا يجهل كل ذي نجابة موهوب، ما في هذا الموضوع من رأب صدع القلوب، وإقالة عثـــرة الأمم والشعوب، بعد تداعي الأدواء والخطوب، في زمن قيدت فيه النفوس للشهوات أســـيرة، وعز فيه نقاء السريرة، وإني قد تيقنت بعدم تحقق هذا المطلوب وحصول هذا المرغـــوب إلا بصد جيوش الهوى، واستغاثة فالق الحب والنوى، والاعتصام بحبله طول المدى، لعلي بـــذلك ألتمس رشدا ، أو أجد على الدرب هدى .

وما من ريب في أن هذا الموضوع يتطلب حسن تأمل الآيات وتدبرها ، للوقوف على معانيها وتحديد عناصرها، وأنى يتحقق ذلك مع قلة بضاعة الملاح، فما له للنجاة إلا شراع التوكـــل ، وقصد الأسباب ببصيرة وتعقل، فإن اشتكت نفسه ورامت ظلال، عللها دليلها وقال: غدا ترين الطلح والجبال .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهمية الموضوع :

١. يمثل هذا الموضوع انسجاماً مع قول النبي ﷺ" الأعمال كالوعاء إذا طاب أسفله طاب أعلاه "[١]

٢. تعلق هذا الموضوع بأشرف غاية أنزل القرآن لأجلها ، وهي تعبيد الناس لله قلبا وقالبا .

٣. يمثل دواء لداء القلوب ، وتضميدا لجراح الأمة بعد تغلغل الوهن.

٤. يكشف نقائص الإنسان أمام مرآة نفسه ، فيسعى جاهدا للإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

٥. يمثل جانبا ولونا نيراً من ألوان التفسير الموضوعي وهو الموضوع القرآني.

أسباب اختيار الموضوع :

١. الرغبة الملحة في نيل الثواب والنجاة من العقاب يوم العرض والحساب .

٢. إثراء المكتبة الإسلامية ، بإضافة لبنة جديدة في مجال الدراسات القرآنية .

٣. وجود مادة علمية قرآنية تغطي هذا الموضوع .

٤. عدم وجود دراسة سابقة في ظني فأردت أن أغطي هذا الموضوع بهذه الدراسة الموضوعية .

أهداف البحث :

١. التأكيد على بالغ الأثر الذي يرسمه القرآن في تصحيح مسار البشر .

٢. بيان بطلان ما تدعيه المذاهب الهدامة من إصلاح اجتماعي أجوف .

٣. ربط واقع الأمة بمعين القرآن وهديه الذي لا ينضب إقالة للعثرات وجبرا للهفوات .

٤. التعرف على طريقة القرآن الكريم ، في غرس القيم والمعاني الإنسانية الخالدة .

٥. بيان المنهاج الأسمى للقرآن الكريم في تنقية الجواهر والظواهر .

---

[١] - رواه ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب التوقي على العمل ، حديث رقم (٤١٩٩) ص ١٤٠٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجهود السابقة :

لقد عرضت كتب الرقائق والأخلاق جانبا مهما من الحديث عن السريرة وصلاح القلوب ومن الأمثلة على ذلك : كتاب الفوائد ،وكتاب الداء والدواء ، وكتاب مدارج السالكين لابن القيم ، وكتاب صيد الخاطر لابن الجوزي ، وغيرها الكثير ،وتلك الكتب فوق ما في نفسي وما أتطلع إليه من بحث قرآني ، وما أعنيه في دراستي هذه أن تعرض موضوع السرائر من جوانب عدة وهي دراسة قرآنية موضوعية . وبعد البحث والتنقيب في الجهود السابقة للباحثين وبعد مطالعة دليل الرسائل العلمية الذي أصدره مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية لم أجد أي رسالة علمية كتبت في هذا الموضوع وجاءني رد كتابي في هذا الخصوص .

منهج البحث :

من خلال اطلاعي في كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم تبين لي ورود لفظة الإسرار مع مشتقاتها أربعا وأربعين مرة ، وعلى ذلك اعتمدت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي الموضوعي منطلقة من النقاط التالية :

١. جمعت الآيات التي وردت فيها كلمة الإسرار ومشتقاتها .
٢. وضعت عناوين للآيات التي تتناولها الدراسة وجمع الآيات ذات العناوين المتناسبة تمهيدا لتصنيفها .
٣. قسمت الموضوع إلى عناصر مترابطة في ضوء الآيات والعناوين الموضوعة لها .
٤. رجعت إلى كتب اللغة للوقوف على معاني السريرة ودلالاتها اللغوية .
٥. اعتمدت كتب التفسير القديمة والمعاصرة للوقوف على معاني الآيات .
٦. ذكرت أسباب النزول للآيات إن وجدت وكذلك زمن نزولها وما يترتب على ذلك من دلالة .
٧. اعتنيت بذكر مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها وكذلك علاقتها بالسورة الواردة فيها ما رأيت حاجة إلى ذلك .
٨. استخلصت الدلالات التي تبرزها الآيات وبينت دورها في تحقيق مقاصد القرآن وأهدافه قدر اجتهادي .
٩. خرجت الأحاديث الواردة معتمدة في ذلك على صحيحي البخاري ومسلم وما جاء في البحث من غيرهما يتم تخريجه من مظانه وبيان حكم العلماء عليه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠. ذكرت تراجم الأعلام المغمورين الذين وردت أسماؤهم في متن البحث من المراجـــع المختصة .

١١. وقفت على اللطائف والإشارات والحقائق القرآنية المتعلقة بالموضوع .

١٢. أثريت أدلة صدق الوحي والنبوة من خلال إخبارات غيبية عما في الصدور .

خطة البحث :

تحقيقا للأهداف المرجوة من هذا البحث وفي ضوء المنهجية السابقة جعلت بحثي من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة وفهارس كما يلي :

المقـــدمـــــة :

وتشمل تعريفا بالموضوع ، وبيان أهميته وأسباب اختياره ، والأهداف المرجوة من ذلك ، مع توضيح الدراسات السابقة ، ومنهجية البحث وخطته .

التمهيد وفيه :

أولا : السريرة لغة واصطلاحا

ثانيا : عناية القرآن بأعمال الباطن .

ثالثا : ورود لفظة الإسرار ومشتقاتها في القرآن الكريم .

رابعا : ملاحظات ولطائف مما سبق .

الفصل الأول : ذكر السريرة في القرآن

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : الإسرار عند الأنبياء

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : إسرار النبي ﷺ.

المطلب الثاني : إسرار نوح عليه السلام في دعوة قومه .

المطلب الثالث : إسرار يوسف عليه السلام .

المبحث الثاني : علاقة السر بصفة العلم والسمع لله .

وفيه مطالب ثلاثة :

المطلب الأول : علم الله بالسر والعلن .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: علم الله بالسر في السماوات والأرض .
المطلب الثالث : سمع الله للسر والنجوى .
المبحث الثالث : مجالات الإسرار .
وفيه أربعة مطالب :
المطلب الأول : الإسرار في الإنفاق.
المطلب الثاني : الإسرار بالدعاء .
المطلب الثالث : الإسرار بمواعدة النساء.
المطلب الرابع : الإسرار بالمودة .
المبحث الرابع : السريرة يوم القيامة .
وفيه أربعة مطالب :
المطلب الأول : ابتلاء السرائر يوم القيامة .
المطلب الثاني : السرور يوم القيامة .
المطلب الثالث : نزع الغل من صدور أهل الجنة .
المطلب الرابع : إسرار الندامة عند رؤية العذاب .

الفصل الثاني: أدواء السرائر.
وفيه ثلاثة مباحث:
المبحث الأول: اتباع الهوى
وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول : الهوى لغة واصطلاحا .
المطلب الثاني : ذم إتباع الهوى .
المطلب الثالث : عواقب إتباع الهوى .
المطلب الرابع : عقبى مخالفة الهوى
المبحث الثاني : الرياء .
وفيه ثلاثة مطالب :
المطلب الأول : الرياء لغة واصطلاحا .
المطلب الثاني : علاقة الرياء بالعقيدة والعمل .
المطلب الثالث : علاقة الرياء بمحق الأجر والثواب على الأعمال .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث : إيثار الحياة الدنيا.

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالحياة الدنيا .

المطلب الثاني : ذم إيثار الحياة الدنيا .

المطلب الثالث : أسباب إيثار الحياة الدنيا .

الفصل الثالث : أعمال السريرة بين التخلية والتحلية .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التخلية .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الكبر .

المطلب الثاني : حب المدح مع ترك العمل .

المطلب الثالث : كتم الشهادة .

المبحث الثاني : التحلية .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعظيم شعائر الله .

المطلب الثاني : السير في الأرض .

المطلب الثالث : تدبر القرآن .

المبحث الثالث : حقائق قرآنية عن أعمال السرائر .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : انشراح الصدر .

المطلب الثاني : وقفات قرآنية بين القلب والفؤاد .

المطلب الثالث : ذكر الذين في قلوبهم مرض .

الفصل الرابع : دواء السريرة .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : النية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : النية لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني : مجالات النية في القرآن الكريم .

المبحث الثاني : الإخلاص .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الإخلاص لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني : الخطاب القرآني للنبي ﷺ بالإخلاص .

المطلب الثالث : ارتباط الإخلاص بالعبادة والدعاء .

المطلب الرابع : المخلَصون والمخلِصون .

المبحث الثالث : الصدق .

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : الصدق لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني : ارتباط الصدق بالله تعالى .

المطلب الثالث : صدق الرسل عليهم السلام .

المطلب الرابع : الدعوة إلى الصدق في القرآن الكريم .

المطلب الخامس : الصدق يوم القيامة .

الخـــاتمـــــة :

وفيها خلاصة البحث مع ذكر التوصيات والنتائج .

مجمـــوعـــــة الفهـــــارس :

وتشتمل على :

١. فهرس الآيات القرآنية .
٢. فهرس الأحاديث النبوية .
٣. فهرس الأعلام.
٤. فهرس المراجع
٥. فهرس المحتويات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التمهيد

أولاً / السريرة لغةً واصطلاحاً :

١. **السريرة لغةً :**

- مأخوذة من مادة سرَرَ ، والمصدر إسْرَار ، وهو خلاف الإعلان ، قال تعالى : ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً** ﴾[البقرة :٢٧٤] .
- والسِّرُ : الحديث المكتم في النفس ، والجمع أسرَار ، والسريرة كالسِّر والجمع السرائر، وهي عمل السِّر من خير أو شر[١] .
- ويطلق السر على النكاح ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً** ﴾ [البقرة :٢٣٥] ، أي نكاحاً لأنه يكتم[٢] .
- ومنه سِرَار الشهر وهي الليلة التي يختفي فيها القمر .
- والسر : أصل كل شيء وجوفه ولبه ، ومنه قولهم : زندٌ أَسَرّ ، أي أجوف ، وسُرّة الحوض أي مستقر الماء في أقصاه ، وقناة سرّاء أي جوفاء بيِّنة السَّرر.
- وكذلك يُطلق السر على الخالص والمحض والأفضل والأطيب[٣] من كل شيء، وسرار الوادي: أكرم موضع فيه ، وسِرار الأرض أوسطها وأكرمها والجمع سرائر، ومنه سِرُّ الحَسَب وسَرَارته: أوسطه وأفضله، وسرارة العيش: خيره وأفضله ، وقيل هو من سر قومه: أي من أفضلهم [٤].

---

(١) انظر : القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، مادة (سرر) ص٣٦٦ .

(٢) انظر : معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣ / ٦٧) .

(٣) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس للإمام محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي (٣ / ٢٦٢) .

(٤) انظر : لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور ، مادة سرر (٤ / ٣٦١) ، وأساس البلاغة لأبي القاسم محمود ابن عمر الزمخشري (١ / ٤٣٥) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- وأسرَّ الشيءَ: كتمَهُ وأظهره، وهو من الأضداد[١].

إشارات مستوحاة من المعنى اللغوي :

ترى الباحثة أنَّ المعنى اللغوي لكلمة السريرة يتضمن عدة إشارات منها :

الأولى/ استعمالها في الأعيان والمعاني[٢]، فمن الأعيان قولهم سرائر الأرض ، وهي أفضل مواضعها وأجودها .

ومن المعاني قول ابن الجوزي[٣]: " من أصلح سريرته فاح عبير فضله "[٤] ، وكذلك قول الشاعر: سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ودٍّ يوم تبلى السرائر[٥] .

الثانية/ تَضمُّنها معنى الخفاء ، وهذا يشير إلى ما تكنُّه النفوس مما لا قدرة للناس على الإطلاع عليه، وانكشافه لمن يعلم السر وأخفى ، قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى** ﴾[طه :٧] .

الثالثة/ تَضَمُّنها معنى الجوهر واللب والجوف ، وهذا يشير إلى وجوب تعهد هذا الجوهر وصيانته من الأدواء والآفات ، إذ في فساده ضياع الإنسان وامتلاؤه بالخواء .

الرابعة/ تضمن لفظ السريرة معنى الخيرية والأفضل والأحسن ،وهذا يشير إلى أن خير ما يمتلكه العبد هو سريرةٌ خَيِّرةٌ وطويةٌ حسنةٌ ، إذ حاجة الله من عباده صلاحُ سرائرهم .

الخامسة/ اشتمال المعنى اللغوي على الضِّدِّية ، فإن الإسرار إلى الغير يقتضي إظهار ذلك لمن يُفضى إليه بالسر ، وإن كان يقتضي إخفاءه عن غيره[٦] ، قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً** ﴾ [نوح:٩] .

---

(١) انظر: مفردات غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ص٢٢٨، وأساس البلاغة الزمخشري (٤٣٥/١).

(١) انظر: مفردات غريب القرآن، ص٢٢٨.

(٢) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله القرشي التيمي البكري الفقيه الحنبلي الواعظ، توفي ٥٩٧ هجري . انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (٣ / ١٤٠) .

(٣) صيد الخاطر للإمام جمال الدين بن الجوزي ص٢٢٠ .

(٤) ديوان شعر الأحوص الأنصاري ، جمع د. إبراهيم السامرائي ص٨٢ .

(٥) انظر : المفردات في غريب القرءان للراغب الأصفهاني ص٢٢٨ .

(٦) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرءان للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (١٠ / ٨٥٨٤) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢. **السريرة اصطلاحاً :**

- ذكر الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ** ﴾ [الطارق:٩] قوله: "تُختبر سرائِر العباد فيظهر منها ما كان مستخفياً في الدنيا من الفرائض التي فرضها الله عليهم "[١] .
- كما ذكر الزَمخْشري في تفسير الآية السابقة قوله : " السرائِر ما أُسر في القلوب من العقائدِ والنيات وغيرها وما أُخفي من الأعمال "[٢] .
- وقد جاء في الحديث قول النبي ﷺ : (يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر ، قالوا يا رسول الله وما شرك السرائر ؟ قال : يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه فذلك شرك السرائر)[٣] .
- كذلك ورد ذكر السرائر في حديث توبة كعب بن مالك رضي الله عنه[٤] في غزوة تبوك قوله: (جاءه المخلَّفون ، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم ، وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله)[٥] .
- وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (إنَّ أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمَّناه وقرَّبناه ، وليس إلينا من سريرته شيء ، الله

---

(١) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤ / ٥٧٥) .

(٢) صحيح ابن خزيمة ،كتاب الصلاة،باب التغليظ فى المراءاة، ح (٩٣٧) (٢/٦٧) .قال الألبانى حديث حسن٠

(٣) كعب بن مالك : هو ابن أبي كعب عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غَنْم ابن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي ، شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه وأحد الثلاثة الذين خلفوا فتاب الله عليهم ، انظر : سير أعلام النبلاء للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٣ / ٢٦١) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب المغازي باب حديث كعب بن مالك ح (٤٤١٨) ص٨٣٥ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الشهادات ، باب الشهداء العدول ح (٢٦٤١) ص٥٠٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يحاسبه في سريرته ، ومن أظهر لنا سوءاً لم نَأْمَنْه ولم نصدِّقه، وإن قال: إنَّ سريرته حسنة)[1] .

ومن خلال تأمل أقوال المفسرين[2] للآية ﴿**يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ**﴾ [الطارق:٩] وكذلك معاني الأحاديث الشريفة المتقدمة[3] ، يتبين أن السرائر تشمل ما يكنه المرء ويضمره في نفسه من النية والعقيدة ، وكذلك ما يخفيه من أعمال الجوارح ، ويُحمل تخصيص الإمام الطبري للسرائر بأنها الفرائض على الأهمية وليس الحصر . ويبقى مفهوم السرائر على عمومه ، إذ يحمل العام على الخاص .

وعلى ذلك يكون المعنى الاصطلاحي للسرائر هو : ما يكنُّه الإنسان في نفسه من العقائد والنيات وما يخفيه من أعمال الجوارح .

ثانياً / عناية القرءان بأعمال الباطن :

١. القرءان الكريم كتاب هداية وإرشاد ،تعلقت به سعادة العباد في الدارين، وقد تضمنت آياته ما يكفل استقامة الظاهر والباطن ، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً**﴾ [الإسراء:٩] . ولمَّا كان مراد الله من العباد صلاح قلوبهم لقول النبي ﷺ: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[4] ، فقد اعتنى القرءان الكريم بإصلاح تلك المضغة ومنعها من الاعوجاج والانحراف ، أو الانشغال بما يُحيدها عن مسارها وغايتها التي خلقت لأجلها ، قال عز وجل: ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦] .

---

(١) انظر : البحر المحيط لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي (٨ / ٤٥١) ، وروح المعاني في تفسير القرءان العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المجلد العاشر (٣٠ / ١٢٦) ، والتحرير والتنوير للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور المجلد الثاني عشر (٣٠ / ٢٦٥) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٥ / ٢٨١) و(٨ / ١٣٩) ، وعمدة القارئ شرح صحيح البخاري للشيخ بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني (١٨ / ٥٣) و (١٣ / ٢٠٠) ، وشرح العقيدة الطحاوية للعلَّامة ابن أبي العز الحنفي ص ٣٧٨.

(٣) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله ح (٢٥٦٤) ، (٤ / ١٩٨٦) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢. تميز القرءان المكي بالبناء الإيماني وتصحيح الاعتقاد ونبذ الشرك بأنواعه وهز النفوس بزواجر الترهيب وجوابر الترغيب ، ومما لاشك فيه أنَّ السور المكية أكثر عدداً من السور المدنية ، كذلك لم تخلُ السور المدنية من العناية بالتربية الإيمانية وبيان أسس العقيدة السليمة في حديثها عن كل التشريعات وأنماط السلوك البشري ، ويتضح ذلك في تذييل الآيات التي تربط بين السلوك والمعتقد ، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة:١٧٩] .

٣. عناية القرءان ببيان شأن النفاق وذكر أحوال المنافقين ، وكشف خبايا نفوسهم ودحض مزاعمهم وتفنيد ادعاءاتهم في كثير من الآيات ، حتى خصص لذلك سورة باسمهم هي سورة (المنافقون) . ولا يشك عاقل في أنَّ أحكام النفاق والمنافقين تنسحب على أقرانهم في كل عصر، إذ إنَّ هذا الكتاب العزيز ارتبطت به سلامة السلوك الاجتماعي على مر الأزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً**﴾ [النساء:١٧٤] .

٤. مزاوجة القرءان الكريم في عنايته بجواهر العباد بين التخلية والتحلية ، ومن ذلك ما يلي:

أ- الدعوة إلى كظم الغيظ والتحلي بالعفو ومقابلة السيئة بالحسنة، كما في قوله سبحانه: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[آل عمران:١٣٤].

ب- تذكير العباد بإطِّلاع الله على ما في قلوبهم وابتلائه لسرائرهم ، كقوله تعالى: ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** ﴾[غافر:١٩] .

ت- الدعوة إلى الإخلاص في القول والعمل وإعلاء شأن المخلصين ، كما في الآية الكريمة : ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ** ﴾[البينة:٥] .

ث- نَبْذُ الرياء وذمه والتحذير من الوقوع فيه ، قال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾[البقرة:٢٦٤] .

ج- ذكر نماذج من أمراض القلوب للتحذير منها ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[البقرة:٧٤] ، وقال : ﴿ **فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً** ﴾[البقرة:١٠] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ح- إعلاء شأن الصدق والصادقين، والتحذير من الأقوال المنافية للأفعال، كما في قوله تعالى: ﴿ **كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُون** ﴾ [الصف:٣] .

خ- العناية بالمفردات الدالة على باطن الإنسان مثل : القلب ، الصدر والنفس والتي احتلت مساحة واسعة من مفردات القرءان الحكيم .

د- ذكر ثبوت الأجر والثواب لكثير من الأعمال مع عدم مباشرتها عند ثبوت صدق النية من ورائها مثل ما نزل[1] في شأن بعض الصحابة - رضي الله عنهم- في غزوة تبوك قال تعالى : ﴿ **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ**﴾ [التوبة:٩١/٩٢] .

ذ- ذكر حبوط كثير من الأعمال عند فساد معتقد فاعلها ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً**﴾ [الفرقان:٢٣] .

ر- رفع الحرج وعدم المؤاخذة عند الإكراه وعدم الاختيار ، قال تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْأِيمَانِ ﴾[النحل:١٠٦]، وقال: ﴿ **لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ**﴾[المائدة:٨٩].

ز-

ثالثاً / ورود لفظة الإسرار ومشتقاتها في القرءان الكريم :

وردت لفظة الإسرار ومشتقاتها في القرءان الكريم أربعاً وأربعين مرة بصيغ مختلفة ومتعددة في الأسماء والأفعال على النحو التالي :

مسلسل	اللفظة	الآية	رقمها	السورة	زمن النزول
١.	تَسُرُّ	﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾	٦٩	البقرة	مدنية

[1] انظر: سبب نزول الآية في أسباب النزول للواحدي ص ١٩٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢.	يُسِرُّون	﴿ أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾	٧٧	البقرة	مدنية
		﴿ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾	٥	هود	مكية
		﴿ لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾	٢٣	النحل	مكية
		﴿ فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾	٧٦	يس	مكية
٣.	تُسِرُّون	﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾	١٩	النحل	مكية
		﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ ﴾	١	الممتحنة	مدنية
		﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾	٤	التغابن	مدنية
٤.	أسرَّ	﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً﴾	٣	التحريم	مدنية
		﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ﴾	١٠	الرعد	مدنية
٥.	أَسْرَرْتُ	﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً﴾	٩	نوح	مكية
٦.	أَسَرَّهَا	﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾	٧٧	يوسف	مكية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧.	أسرُّوا	﴿ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾	٥٢	المائدة	مدنية
		﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ﴾	٥٤	يونس	مكية
		﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾	٦٢	طه	مكية
		﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾	٣	الأنبياء	مكية
		﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ﴾	٢٣	سبأ	مكية
٨.	أَسَرُّوه	﴿قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ﴾	١٩	يوسف	مكية
٩.	أَسِرُّوا	﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	١٣	الملك	مكية
١١.	إسرَارَهم	﴿ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾	٢٦	محمد	مكية
١٢.	السِّر	﴿ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾	٧	طه	مكية
		﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	٦	الفرقان	مكية
١٣.	سِرًّا	﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً ﴾	٢٣٥	البقرة	مدنية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

		﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً ﴾	٢٧٤	البقرة	مدنية
		﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾	٢٢	الرعد	مدنية
		﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً ﴾	٣١	إبراهيم	مكية
		﴿ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً ﴾	٧٥	النحل	مكية
		﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾	٢٩	فاطر	مكية
١٤.	سِرَّكُمْ	﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾	٣	الأنعام	مكية
١٥.	سِرَّهم	﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ﴾	٧٨	التوبة	مكية
		﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ﴾	٨٠	الزخرف	مكية
١٦.	سُرُوراً	﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾	١١	الإنسان	مدنية
١٧.	مَسْرُوراً	﴿ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً ﴾	٩	الانشقاق	مكية
		﴿وَيَصْلَى سَعِيرا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾	١٣	الانشقاق	مكية
١٨.	السرائر	﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ، يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾	٩	الطارق	مكية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٩.	السرَّاء	﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾	١٣٤	آل عمران	مدنية
		﴿ وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ ﴾	٩٥	الأعراف	مكية
٢٠.	سُرُر	﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾	٤٧	الحجر	مكية
		﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾	٤٤	الصافات	مكية
		﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾	٢٠	الطور	مكية
		﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ، وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ من الآخرين ، عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴾	١٥	الواقعة	مكية
		﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾	١٣	الغاشية	مكية
		﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾	٣٤	الزخرف	مكية

رابعاً / ملاحظات ولطائف مما سبق :

يتبين للباحثة من خلال تأمل ورود لفظة (الإسرار) في آيات القرءان الكريم ما يلي :

١. تعدد مشتقات لفظة (الإسرار) في القرءان الكريم ، واتساعها لتشمل الفعل الماضي(أسرَّ) والمضارع (تسرُّون) ، والأمر(أسرِّوا) . كما اشتملت على صيغ الأسماء : كالاسم المعرف بأل (السِّرّ) والمنوَّن (سراً) ، والمضاف إلى المخاطب (سرَّكم) ، والمضاف إلى الغائب(سرَّهم) ، والمفعول المطلق(إسْرَاراً).

وفي ذلك إشارة إلي اتساع مدلولات لفظة الإسْرَار ، واشتمال معانيه على أحوال

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

متنوعة تذكّر الإنسان بواجبه الذي لا ينقطع بتعهد سرِّه ، وإصلاح طويته ، والانتباه لمنطلق أعماله وتصرفاته ، في شتى أطوار حياته .

٢. زيادة عدد الآيات المكية التي اشتملت على هذه اللفظة على نظائرها من الآيات المدنية فقد بلغ عدد الآيات المكية المشتملة على مشتق للفظة (الإسرار) اثنتين وثلاثين آية ، في حين بلغ عدد الآيات المدنية اثنتي عشرة آية . وهذا يشير بوضوح إلى عناية القرءان المكي بالبناء الداخلي للإنسان ، عبر توجيهه للاعتناء بجوهره وتنقية نفسه وإصلاح داخله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

٣. زيادة عدد ورود صيغ الأسماء للفظة (الإسرار) على عدد ورود صيغ الأفعال إذ وردت صيغ الأسماء خمساً وعشرين مرة ، في حين وردت صيغ الأفعال تسع عشرة مرة وهذا يدلل على إرادة الثبات والمداومة في صلاح أعمال الخفاء فلا يتغير حسن السريرة بتغير الأحوال وتعاقب الأزمان .

٤. معظم الآيات المدنية التي اشتملت على لفظة الإسرار أو مشتقاتها ، تناولت إما بناءً أُسَرِيَّاً ووضعاً اجتماعياً مثل قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ** ﴾ [التحريم:٣] ، وقوله : ﴿ **وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً** ﴾[البقرة:٢٣٥] ، أو تناولت الحديث عن المنافقين ودسائسهم مثل الآية ﴿ **والله يعلم إسرارهم** ﴾ [محمد:٢٦] ، وكذلك الحديث عن العلاقة مع المشركين ، وضرورة سلامة عقيدة الولاء والبراء مثل قوله تعالى: ﴿**تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ** ﴾ [الممتحنة:٦] ، أو تناولت الحديث عن الإنفاق في سبيل الله ، وما تمثله تلك القضية من أساس اجتماعي ، لابد منه لبناء الأمة مثل قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً**﴾ [البقرة:٢٧٤] .

٥. انضواء مفردات (تَسرُّ ، سُرُوراً ، مَسْرُوراً ، السرَّاء ، سُرُر) تحت لفظة الإسْرَار، ذلك بأن السُّرور هو ما يكتم في النفس من الفرح ، والسرَّاء حالته،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك السُرُر تعرف بأنها لأولي النعمة من الناس[١] ، ويؤيد ذلك قول العــرب : زال عــن سريره إذا ذهب عزه ونعمته[٢] ، وقول الأعرابي لمَعْن بن زَائدَة [٣] :

أتذكر إذ لباسك جلد شــاة وإذ نعلاك من جلد البعيـــــر .

فسبحان الذي أعطاك ملكاً وعلمك الجلوس على السرير[٤] .

---

(١) انظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٣ / ٢٠٦) .

(٢) انظر : أساس البلاغة للزمخشري (١ / ٤٣٥) .

(٣) معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيباني أبو الوليد من أشهر أجواد العرب ، وأحد الشجعان الفصحاء توفي سنة ١٥١هجري . انظر وفيات الأعيان (٥ / ٢٤٤) ، والأعلام لخير الدين الزركلي (٧ / ٢٧٣) .

(٤) البيتان ذكرهما الفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز (٣ / ٢٠٦) وقد وردت قصتهما كاملة فى كتاب رسائل الجاحظ لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٦١/٢)٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

ذكر السريرة في القرءان

وفيه أربعة مباحث :

- **المبحث الأول** : الإسرار عند الأنبياء .
- **المبحث الثاني**: علم الله وسمعه وعلاقتهما بالسر .
- **المبحث الثالث** : مجالات الإسرار .
- **المبحث الرابع** : السريرة يوم القيامة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الإسرار عند الأنبياء

لقد عرض القرءان الكريم _كونه كتاب هداية وإرشاد _الحديث عن الأنبياء في مختلف أدوار حياتهم ، دعوية كانت أو اجتماعية وذلك لما في هذا العرض من أهمية في تجلية دور القدوة الحسنة والمثل الأعلى، وستعرض الباحثة في هذا المبحث جوانب من إسرار بعض الأنبياء عليهم السلام .

المطلب الأول

إسرار النبي محمد صلى الله عليه وسلم

أولاً / إسراره ﷺ بالدعوة :

شاءت إرادة الله_ عز وجل_ أن يبدأ النبي ﷺ دعوته في فترتها الأولى بسرية وتكتم ؛ مراعاة لظروف وأحوال كان الإسرار فيها بالدعوة أنفع من الجهر والإعلان ؛ وتعليماً للداعين في كل حين بضرورة الأخذ بالأسباب الظاهرة ، حتى إذا زال ما أوجب الإسرار والكتمان ، أمر الله نبيه ﷺ بالجهر والإعلان ، وهذا ما بينه القرءان الكريم في قوله تعالى : ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [الحجر:٩٤] ، فالآية الكريمة تحدثت عن تكليف إلهي للنبي ﷺ للصدع بالرسالة ، ومن خلال التأمل في أقوال المفسرين حول هذه الآية يتبين أن الصَّدْع يحتمل معنيين :

الأول / الصَّدْعُ بمعنى التفريق والشق : ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ**﴾[الروم:٤٣] ، أي يتفرقون [١] .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرءان لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (١٠ / ٦١) ، فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (٣ / ٢٠٦) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثاني / الصَّدْعُ بمعنى الإظهار والإعلان وهو خلاف الإسرار ومنه قولهم : صَدَع بالحجة إذا تكلم بها جَهاراً [١] .

وترى الباحثة في الآية المتقدمة اتساعها للمعنيين السابقين ، فقد أمر الله _تعالى_ فيها نبيَّه بالجهر بالدعوة علناً دون خفاء ولا مواربة ، وهذا الجهر والإعلان أنهى الفترة السرية في بداية الدعوة والتي استمرت لثلاث سنين وكان من أبرز آثاره تفريق كلمة الكفر وشق صف الوثنية .

ثانياً / إسراره ﷺ لبعض أزواجه :

قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**﴾ [التحريم:٣] .

تتحدث الآية الكريمة عن جانب مشرق من جوانب الحياة الأُسَريَّة عند النبي محمد ﷺ وفي ذلك توجيه عام للأمة على ضوء ما وقع في بيوت رسول الله ﷺ .

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية ما رواه البخاري عن عائشة _رضي الله عنها_ قالت: (كان النبي ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها ، فَتَواطَأْتُ أَنَا وحفصة على أَيَّتُنَا دَخَلَ عليها فَلْتقلْ لَه: أَكَلْتَ مغافير[٢] إني أجد منك ريحَ مَغَافير ، قالَ : لا ولكني أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلنْ أعودَ له ، وقد حَلَفْتُ لا تخبري بذلك أحداً)[٣] ، فقد كان إسراره ﷺ لبعض أزواجه صورة بهية من صور العلاقات الزوجية الناصعة ، بها

---

(١) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرءان بالقرءان لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي(٣ / ٢٠٠) ، مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي مادة (صدع) ، ص٢٠٢ .

(٢) المغافير : صمغ حلو الطعم ، كريه الرائحة ينضحه شجر الطلح ، واحده مغفور. انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ص٦٦٢ .

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب قوله ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ حديث رقم (٤٩١٢)ص ٩٦٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ترتسم معالم الثقة وتُقَوَّى وتتوثق عُرى المودة والرحمة، وقد اشتملت الآية على هدايات عظيمة منها[1]:

١. إمكانية إسرار بعض الحديث إلى منْ يُركن إليه من زوج أو صديق ، وأنَّه يلزمه كتمه .
٢. حسن العشرة مع الزوجات والتلطف في العتب ، والإعراض عن استقصاء الذنب ، فما زال التغافل من فعل الكرام .
٣. علو خُلق النبي ﷺ في حلمه وتلطفه في قوله تعالى : ﴿ **عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ**﴾ [التحريم:٣] تكرماً منه ﷺ .

المطلب الثاني

إسرار نبي الله نوح_ عليه السلام_ في دعوة قومه .

من المعلومِ أنَّ الدعوة إلى اللهِ _عز وجل_تتطلبُ التنويعَ في الأساليبِ والطرق ليكون أدعى لاستجابة الناس وأمعن في إقامة الحجة عليهم وفي ذلك ورد قوله _تعالى_على لسانِ نبيه نوح عليه السلام : ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً* وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً**﴾ [نوح:٥-٩] ، لقد أبرزت هذه الآية الكريمة ضرباً من الأساليب التي سلكها نبي الله نوح _عليه السلام_ في دعوة قومه إلى الإيمانِ ، فبدأ دعوتَه باستغراق أوقات الليل والنهار، وثنَّى على ذلك بالجهر والإعلان ، ثمَّ لمَّا لم يُجْدِ جمع بين الجهر والإسرار ، والتنويع في الدعوةِ بين السر والجهر هو بذل للوسع في القيام بأمر الله عزَّ وجل، وانتهازُ الفرصِ السانحةِ في سر وعلن؛ لتبليغ دعوة الله سبحانه ، وقد تضمنت الآية ثلاث مراتب دعوية هي[2]:

الأولى / البدء بالمناصحة ليلاً ونهاراً استغراقاً لأزمان متغايرة .

الثانية / المجاهرة بالدعوة إيذاناً منه _عليه السلام_ بارتقاء مراحل الدعوة .

---

(١) روح المعاني للألوسي المجلد العاشر (٢٨ / ١٤٧) ، انظر: الكشاف للزمخشري (٤ / ٤٢٢)

(٢) انظر التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي (٢٩ / ١٤٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثالثة / الجمع بين الإسرار والإعلان بذلاً للوسع في تبليغِ دعوة الله ظاهراً وباطناً .

ومن المعلوم أن "الدعوة عن طريق الإسرار هي الأليق لمن همه الإجابة لما فيه من اللطف بالمدعو ، كما أن الجهر أشد من الإسرار ، والجمع بينهما أغلظ من الإفراد "[1].

وترى الباحثة أن الإسرار بالدعوة الذي بدأه الأنبياء _عليهم السلام_ قد يلجأ إليه الدعاة في أي حين من الدهر متى رأوا فيه مصلحةً ، ودفعوا فيه مفسدةً كظهور أهل الكفر على أهل الإيمان .

المطلب الثالث

إسرار يوسف عليه السلام .

تحدثت آيات سورة يوسف عن صورة مثالية لسريرة نقية ، وطوية طاهرة تماثلت مع علانية صادقة عبر عنها القرءان في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ [يوسف:٢٤] .

وقد تجلت تلك الصورة في مواقف لنبي الله يوسف عليه السلام ، منها :

أولاً / نقاء سريرته عند مراودة امرأة العزيز له :

قال الله عز وجل : ﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [يوسف:٢٣] .

لقد تجلت في يوسف _عليه السلام_ أنقى صور الطهر والإسرار العفيف ، والإخلاص لله في السر والعلانية في موقفه مع امرأة العزيز ، فعلى الرغم من اشتداد ذلك الموقف ، قال قول الطاهر العفيف: ﴿**قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظَالِمُونَ**﴾[يوسف:٢٣].

يقول ابن القيم[2] رحمه الله : "وقد ذكر الله _ سبحانه وتعالى _ عن يوسف الصديق _عليه السلام_من العفاف أعظم ما يكون ، فإن الداعي الذي اجتمع في حقه لم يجتمع في حق غيره ، فإنه_عليه السلام_ كان شاباً ، والشباب مركب الشهوة ، وكان عزباً ليس عنده ما يعوضه ،

---

(١)البحر المحيط لأبي حيان(٨ /٢٨٤)، وانظر : الكشاف (٤ / ٤٦٨) .

(٢)هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ، صاحب التصانيف المشهورة ، متوفي سنة ٧٥١ هجري ، انظر البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي المجلد السابع (١٤ / ٢٤٦) ، والأعلام للزركلي (٦ / ٥٦) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان غريباً عن أهله ووطنه والمقيم بين أهله وأصحابه يستحي منهم أن يعلموا به فيسقط من عيونهم ، فإذا تغرب زال هذا المانع ، وكان في صورة المملوك والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحر ، وكانت المرأة ذات منصب وجمال ، والداعي مع ذلك أقوى من داعي من ليس كذلك ، وكانت هي المطالبة فيزول بذلك كلفة تعرض الرجل وطلبه وخوفه من عدم الإجابة ، وزادت مع الطلب الرغبة التامة والمراودة التي تزول معها ظن من عدم الامتحان والاختبار لتعلم عفافه من فجوره ، وكانت في محل سلطانها وبيتها بحيث تعرف وقت الإمكان ومكانه الذي لا تناله العيون ، وزادت مع ذلك تغليق الأبواب لتأمن هجوم الداخل على بغتة ، وأتته بالرغبة والرهبة ومع هذا كله عفَّ لله ولم يطعها وقدم حق الله وحق سيدها على ذلك كله ، وهذا أمر لو ابتلي سواه لم يعلم كيف كانت حاله "[1] .

وترى الباحثة أنَّ هذا الموقف من نبي الله يوسف –عليه السلام – ليدل دلالة واضحة على استعلاء الإيمان وطهر الخفاء ، وإيثار حق الله وأن نقاء الخلوات موجب علو الجلوات .كما أنَّ المتأمل في هذا الموقف يلمس نوعين من الحسن :حسن الصورة وحسن الجوهر ، وقد امتلكهما نبي الله يوسف _عليه السلام_ الذي قال عنه النبي ﷺ في حديث الإسراء :(فإذا هو قد أُعطي شَطْر الحسن)[2]. ، في حين امتلكت امرأة العزيز حُسْن الصورة ، وهذا النوع من الحُسن يُؤثِّر فيه توالي الأيام والسنين فيسلب بهجته ، إلا أنَّ حُسن الجوهر لا يزيده تعاقب الزمان إلا بهاءاً و تألقاً .

يقول ابن الجوزي _رحمه الله_ : " فمن أصلح سريرته فاح عبير فضله ، وعبقت القلوب بنشر طيبه "[3].

ثانياً / إسراره مع إخوته عند اتهامهم له بالسرقة :

يعرض القرءان الكريم موقفاً آخر لنبي الله يوسف –عليه السلام – ويظهر فيه كرم سجاياه ونبل مناقبه ، _قال تعالى_ حكاية عن إخوة يوسف : **﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاناً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾**[يوسف:٧٧].

---

(١)روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم(ص٢٣٦).

(٢)صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ، ح(٢٥٩) ، (١ / ١٤٦) .

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي ص ٢٢٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد تجلى في الآية الكريمة إضمار لنوعين من النفوس ، الأول ما أضمرته نفوس إخوة يوسف من كيد له وافتراء عليه ؛ وذلك بنسب السرقة له والثاني ما أضمرته نفسه –عليه السلام – من حلم وكظم للغيظ وهذا يبدي بجلاء عظيم خلق يوسف –عليه السلام– وتعامله بمنطق الكرماء الذين يكظمون الغيظ ويترفعون عن معاملة السوء بالمثل ، فبرغم اتهام إخوته جزافاً لأخيهم بالسرقة مشابهة لأخيه يوسف الذي سرق قبله –على حد زعمهم – إلا أنه لم يؤاخذهم بقولهم فعلاً أو قولاً ، وإنَّما حلم عنهم وكظم غيظه مبرزاً سريرة استوت مع علانية خلوقة[1] ، وترى الباحثة أن المتأمل في هذه الآية يجد تفسيراً لاختلاف الطباع بين الناس إذ يتعلق ذلك بقدرتهم على التحكم بما يجول في نفوسهم من مشاعر وأحاسيس ، من هنا كتم يوسف –عليه السلام- ما جال بخاطره من مشاعر ، في حين لم يفلح إخوته في هذا الأمر فبادروا إلى إلصاق التهمة جزافاً ، وفي هذا المعنى قال النبي ﷺ : (ليسَ الشَّديد بالصُّرَعَة ، إنَّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)[2] .

---

[1]) انظر البحر المحيط (٥ / ٣٢٨) ، وتنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي (٢ / ٢٣١).

[2] صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب ، ح(٦١١٤)ص ١١٨٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

علاقة السر بصفتي العلم والسمع لله

المطلب الأول

علم الله بالسر والجهر

تعد صفة العلم إحدى الصفات الذاتية لله جل ذكره ، والعلم هو إدراك الشئ على ما هو عليه إدراكاً جازماً، تتم بموجبه معرفة الأشياء على وجه اليقين[1] .

وسيقتصر الحديث في هذا المطلب على علم الله بسر العبد وعلانيته على وجه الخصوص ، قال تعالى : ﴿ **هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[الحديد :٣] .

لقد تضمنت الآية الكريمة صيغة من صيغ العموم لم يدخلها التخصيص أبداً ، وهذا العموم يشمل أفعاله وأفعال العباد الكليات والجزئيات ، فهو –سبحانه– يعلم ما يقع وما سيقع ويشمل الواجب والممكن والمستحيل ، فعلم الله -تعالى- واسع شامل محيط لا يستثني منه شيء ، فأمَّا علمه بالواجب فهو مثل علمه بنفسه وبما له من الصفات الكاملة ، وأما علمه بالمستحيل فمثل قوله تعالى : ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا** ﴾[الأنبياء:٢٢] ، وقوله :﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ**﴾ [الحج:٧٣] ، وأما علمه بالممكن فكل ما أخبر الله به عن المخلوقات ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ** ﴾[النحل:١٩] ، والثمرة التي يجنيها المؤمن من يقينه بعلم الله لسره وجهره هي كمال مراقبة الله -جل ذكره– وخشيته ، بحيث لا يفقده حيث أمره ولا يراه حيث نهاه ، كما أن العلم بإحاطة الله–تعالى بالسريرة والعلانية يستلزم الطمأنينة التامة لما حكم به من أحكام كونية وشرعية ؛ لصدور ذلك عن علم وحكمة فيزول عن النفوس القلق ، وتنشرح الصدور بتحقق خشية الله -تعالى– سراً وعلناً[2] .

---

١)انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ، شرحه سماحة الشيخ محمد الصالح العثيمين ص١٨٤ بتصرف .

٢) انظر المرجع السابق ص١٨٤ بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول جل ثناؤه: ﴿ **وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ**﴾[الأنعام :٣] فقد تحدثت الآية الكريمة عن إحاطة علم الله-عز وجل- بسرائر الناس وعلانيتهم وبجميع اعتقاداتهم وأعمالهم من خير وشر وفي هذا من المعاني ما يلي :

١) "إنّ سرّ الناس وجهرهم وكسبهم إنما هو حاصل في الأرض خاصة دون السماوات؛ لذلك لا يتعلق قوله تعالى: ﴿ **فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ** ﴾ بالفعل في قوله: ﴿ **يَعْلَمُ سِرَّكُمْ** ﴾، إذ إن المعنى المراد من الآية هو الله المعبود في السماوات وفي الأرض "[١] .

٢) المراد بالسر صفات القلوب وهي الدواعي والصوارف ، والمراد بالجهر أعمال الجوارح ؛ ولذلك قدم ذكر السر على ذكر الجهر لأن المؤثر في الفعل هي الدواعي التي هي من باب السر ، فتؤثر في أعمال الجوارح المسماة بالجهر[٢] .

٣) " اشتملت الآية الكريمة على لفظتي السماوات والأرض اللتين جاءتا في الآية الكريمة الأولى ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾

[الأنعام :١] وهذا نوع من الرباط بين الآيتين الكريمتين ، وهذا الرابط يعمق مفهوم الآية الأولي ، التي أنكرت على الذين كفروا أن يسووا به _سبحانه_ غيره في اتخاذه إلهاً وكأن السر في الآية ﴿ **يَعْلَمُ سِرَّكُمْ** ﴾ امتداد للظلمات التي جاءت في الآية الأولى متقدماً ، وكأن الجهر امتداد للنور الذي جاء في الآية متأخراً "[٣] .

مما تقدم ذكره يتبين أنَّ سرائر الناس وعلانيتهم سواءٌ بالنسبة لعلم الله تعالى ، بل علمه _عز وجل_ أحاط بما هو أخفى من السر ، قال سبحانه : ﴿ **وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾[طه:٧] ، " فالسرُّ ما حدَّث العبد به نفسه أو غيره في مكان خالٍ ، وأخفى من السر هو ما علمه الله مما هو كائن ولم يعلمه العباد "[٤] ، وقد جاء في صحيح البخاري

---

(١) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ، المجلد الثالث (٧ / ١٣٣) بتصرف .

(٢) انظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين البكري الطبرستاني الرازي المجلد السادس (١١ / ١٥٦) .

(٣) تأملات في سورة الأنعام لحسن محمد باجودة (ص ٢٧) بتصرف .

(٤) تفسير جامع البيان للطبري (٧ / ٥٥٦٠) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "اجتمع عند البيت ثقفيَّان وقُرشِي[1]أو قُرشيان وثقفي كثيرةُ شحمٍ بطونهم ، قليلة فقه قلوبهم ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع ما نقول ؟ قال الآخر : يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا ، وقال الآخر : إن كان يسمع إذا جهرنا ، فإنه يسمع إذا أخفينا ، فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ**﴾ [فصلت:٢٢][2].

المطلب الثاني

علم الله بالسر في السماوات والأرض

الحديث في هذا المطلب يتناول عموم علم الله بغيب السماوات والأرض ، والغيب في اللغة : كل ما غاب عن العيون وإن كان محصَّلاً في القلوب ، وكل مكان لا يدري ما فيه وما وراءه فهو غيب وجمعه غيوب ، وتطلق الغيابة على الهبطة من الأرض وكل ما يستر الإنسان فيها ، قال تعالى : ﴿ **وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ** ﴾[يوسف:١٠][3]، أما علم الغيب اصطلاحاً : فهو يطلق على ما لا يقع تحت الحواس مما أخبر النبي ﷺ بأنه وقع أو سيقع ، مثل وجود الله وصفاته ، ووجود الملائكة وأشراط الساعة ، وما استأثر الله بعلمه .

وقد تحدث القرءان عن شمول علم الله للمغيبات كلها في الأرض والسماوات مما لا سبيل للناس إلى علمه، قال تعالى : ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ [الأنعام:٥٩] ، ففي عرض القرءان لقضية علم الله بالغيب بيان لاقتصار ذلك العلم عليه سبحانه ، روى الإمام البخاري في صحيحه أنَّ رسول الله ﷺ ، قال : (مفاتيحُ

---

[1] ثقفيان نسبة إلى ثقيف : بطن من هوازن من العدنانية كانت منازلهم بالطائف من أرض نجد ، وقُرَشيان نسبة إلى قريش : قبيلة من كنانة ومن بطونها بنو مخزوم ، بنو زهرة ، بنو تيم وبنو هاشم ، انظر اللباب في تهذيب الأنساب تأليف عز الدين الجزري ، ثقيف من (١ / ٢٤٠) وكذلك قريش من (٣ / ٣٠) .

[2] صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم﴾ ح(٧٥٢١) ص١٤٣٦

[3] انظر : القاموس المحيط للفيروز آبادي ص ١١٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الغيبِ خمسة ، لا يعلمها إلا الله ، لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم ما في غدٍ إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموت إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله)[1] .

أما ما أطلع عليه بعض رسله كما قال جل شأنه : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾ [الجن:٢٥-٢٦] ،فذلك يفيد التخصيص لبعض الرسل بإخبارٍ منه _تعالى_ مما له صلة بالوحي وتبليغ الرسالة ، وذلك كله راجع إلى علمه _سبحانه_ وعظيم فضله[2].

ومن خلال التأمل في هذه المعاني العظيمة من إحاطة علم الله _سبحانه وتعالى_ بغيب السماوات والأرض ، تبين للباحثة ما يلي :

١. ضرورة تحلي النفوس بالرضا والتسليم لما يقدره الله _تعالى_ من أمور قد تبدو في ظاهرها على غير مراد البشر .
٢. ارتقاء القرءان الكريم بمستوى الأداء الفكري عند الإنسان ، وذلك حين ينقله من الإيمان بالمحسوس إلى الإيمان بما لا يقع تحت طائلة الحس .
٣. ضآلة علم الإنسان وقلة معرفته مهما أوتي من صنوف العلم ، إذ كل ما لديه من معلوم ما هو إلا أثارة من فضل أنعم بها الخالق العظيم تستوجب من المخلوق دوام الشكر والتذلل على باب مولاه .

المطلب الثالث

سمع الله للسر والنجوى

أولاً / المراد بالسمع :

حِسُّ الأُذُن ، وما وقر فيها من شيءٍ تسمعه[3].

والسمع في حق الله _تعالى_ : صفة ذاتية له _سبحانه_ لا يشابه فيها سمع المخلوق ، فهو " يسمع الأصوات على اختلافها وجهرها وخفائها ، وسواء عنده من أسر القول ومن جهر به ،

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد﴾، ح(٧٣٧٩) ص١٤٠٦.

(٢)) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ٨٤٧.

(٣) انظر : القاموس المحيط للفيروز آبادي ص ٦٥٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا يشغله جَهْر من جَهَر عن سمعهِ لصوت من أَسَرَّ ، ولا يشغله سمعٌ عن سمعٍ ، ولا تغلطه الأصوات على كثرتها واختلافها واجتماعها بل هي عنده كلها كصوت واحد " [١] .

والسميع اسم من أسماء الله _تعالى_ يتضمن معنيين : معنى كونه _سبحانه_ مجيبا للدعاء ، ويؤيد هذا المعنى قوله _تعالى_ عن إبراهيم عليه السلام : ﴿**إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ** ﴾ [إبراهيم:٣٩] ، كما يتضمن معنى سمعه _تعالى_ للأصوات كما في قوله تعالى : ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ** ﴾[المجادلة:١] ، وفي هذا بيان إحاطة سمع الله _تعالى_ بكل مسموع ، وقد روى البخاري في صحيحه عن عائشة _رضي الله عنها_ قالت : (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، والله إني لفي الحجرة وإن حديثها ليخفى عليَّ بعضه)[٢] .

كذلك يتضمن سمع الله _تعالى_ معنى التهديد والوعيد[٣]، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**﴾ [الزخرف:٨] ، فإنَّ هذا يراد به إظهار وعيد الله _تعالى_ للكافرين وكما اشتمل سمع الله _تعالى_ على تهديد الكافرين ، كذلك اشتمل على تأييد الأنبياء والصالحين ، وهذا مثاله قوله تعالى : ﴿ **إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾[طه:٤٦] .

ثانياً / الفرق بين السر والنجوى :

السر إذا قُرِنَ بالنجوى قصد به حديث النفس ، والنجوى حديثٌ بين اثنين فأكثر بطريق التناجي أي على وجه الخفية ، قال تعالى: ﴿ **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ**﴾ [الزخرف:٨] ، وأصل النجوى في اللغة من نجا بمعنى خَلُصَ ، والنجوة من الأرض ما ارتفع منها فلا يظهره الماء[٤].

وقد تناولت آيات القرءان الكريم الحديث عن المكذبين بالحق ، المعاندين له ، وأن كيدهم الذي مكروه سواء كان على وجه الخفية أم تكلموا به ، فإن الله سميع لجميع ذلك قد أحاط

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، ص٥٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى (وكان الله سميعاً بصيرا) (النساء ١٣٤)

(٤) انظر : شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية شرحه محمد الصالح العثيمين ص ٢٠٦ .

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي ، ص ١٢٠٣. .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بكل ما عملوه وسيحفظ ذلك عليهم حتى تقوم الساعة ، فيجدوا ما عملوا حاضراً مُثْبَتاً ، قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾ [التوبة:٧٨] ، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ** ﴾[الأنبياء:٣] ، وقد بين الله _عز وجل_ أنَّ ذلك التناجي يمثل صورة من صور الكيد الشيطاني ، لن يضر المؤمنين شيئاً ، إذ لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله وليس على أهل الإيمان إلا مزيداً من التوكل[١] .

ممَّا تقدم بيانه يتضح للباحثة أنَّ الآيات الكريمة وإنْ تَعَرضَتْ لسبيل من سبل النجوى وهو التناجي بالكيد والعداء للحق _وهو ما دَأَب عليه أعداء الدين قديماً وحديثاً ، إلا أن الله _عز وجل_ قد بيَّن سُبلاً للنجوى الخيِّرة وذلك في قوله تعالى: ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾[النساء:١١٤] ، وقوله تعالى: ﴿ **وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ [المجادلة:٩] ، وهذه المعاني من النجوى الخيِّرة المتمثلة في المعروف والصدقة والإصلاح والبر والتقوى هي ما ينبغي للمسلم أنْ يصبغَ حياته بها ، وأن يجسدها واقعاً ملموساً بعد أنْ أيقنَ بسمعِ مولاه لسرهِ ونجواه .

المبحث الثالث

مجالات الإسرار

عرض القرءان الكريم ضروباً من أعمال الخفاء وصوراً نيرةً من الإسرار تعلقت بجوانب شتى من أعمال العباد ، فمنها ما تعلق بالبذل والعطاء ومنها ما تعلق بالإنابة والدعاء ، ومنها ما بيَّن نقاء الميثاق الغليظ بين الرجل والمرأة ، وأخرى تعلقت بصرف المودة للباري _سبحانه وتعالى_ وفيما يلي تفصيل ذلك .

---

(١) انظر: تفسير السعدي ، ص ٨٠٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

الإسرار في الإنفاق

دعت الآيات القرءانية إلى الإنفاق في سائر الحالات في السر والجهر وفي الليل وفي النهار، وبينت فضل الصدقة في كل الأحوال، وفاضلت أحياناً بين نفقة السر ونفقة العلن وفي ما يلي تفصيل لذلك :

أولاً / بيان فضل الصدقة في السر والعلن :

وجّه سبحانه عباده إلى الإنفاق والمبادرة فيه قبل أن تنقضي الآجال وتنتهي المعاملات ، فلا بيع ولا شراء ولا صداقة ولا أخلاء ، وليس لأحد إلا ما قدّم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر، وهذه الدعوة الإلهية شملت حالتي الإنفاق في السر والعلن فقال سبحانه: **﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ ﴾[إبراهيم:٣١]**، وفي آيات أخر جاء الحث على الإنفاق في حالتي السر والعلن مع بيان أجر وثواب المنفقين، **فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة :٢٧٤]** "وفي هذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات من ليل ونهار" [١]

ولقد بين النبي عظم شأن صدقة السر في حديثه الذي يرويه البخاري في صحيحه قال ﷺ (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله) وعدَّ من هذه السبعة (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه)[٢] .

وعند تأمل الآيات الأخرى التي تحدثت عن مسألة الإنفاق في السر والعلن نجد أنها فصّلت في أجرها وبيان فضلها ، ومن ذلك قوله سبحانه : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا**

---

(١) تفسير القرءان العظيم لابن كثير (١ / ٣٢٥) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الآذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ،ح(٦٦٠) ، ص ١٤١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاًوَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ*لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[فاطر:٢٩-٣٠]. حيث إنَّ الله وعدهم :

١- تحقق الربح لتجارتهم مع الله فهي تجارة لن تكسد ولن تهلك فإنَّ " الإخبار برجائهم لثواب ما عملوا في قوله تعالى: ﴿ **يَرْجُونَ** ﴾ بمنزلة الوعد بحصول مرجوهم "[١] .

٢- الوفاء بثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا .

٣- مضاعفة الأجر لهم بزيادات لم تخطر ببالهم .

٤- مغفرة ذنوبهم .

٥- تقبل القليل من العمل الخالص والإثابة عليه بالجزيل من الثواب ، وكذلك قوله سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ [الرعد:٢٢-٢٤] .

حيث أضافت هذه الآية مزيد فضل عن الأولى فبينت أجر من يتصف بصفات محددة من ضمنها الإنفاق في السر والعلن ومن هذا الأجر:

أ- البشرى بأنَّ لهم عاقبة طيبة عند انتهاء دارهم الدنيا فالكل مآله إلى الآخرة ، ولكن شتان بين مآل ومآل[٢] .

ب- بيان حقيقة العاقبة وتمثلها في جنات عدن، " أي جنات إقامة يخلدون فيها "[٣] .

ت- الأنس بالصالحين من الأقارب فيجمع _سبحانه_ في الجنة " بينهم وبين أحبابهم من الآباء والأهلين والأبناء ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين لتقر أعينهم بهم حتى إنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى امتناناً من الله وإحسانا من غير تنقيص

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٥٥٤) .

(٢) انظر : تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لمحمد بن محمد بن مصطفى العمادي أبي السعود، (٣/ ١٦١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢ / ٥١٠) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للأعلى عن درجته "[١] .كما قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ [الطور:٢١] .

ث- التهنئة من قبل الملائكة بدخول الجنة " فعند دخولهم إياها تغدُو عليهم الملائكة مسلِّمين مهنئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام والإقامة في دار السلام في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام "[٢] .

ثانياً / بيان التفاضل في نفقة السر ونفقة العلن :

تميل الباحثة في هذه المسألة إلى ما ذكره القرطبي من موازنة بين صدقة السر وصدقة العلن وذلك في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ **إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾[البقرة :٢٧١] .حيث يتبين لمن يتدبر هذه الآية أنَّ :

١. " الحال في الصدقة تختلف بحال المعطي لها والمعطي إياها والناس الشاهدين لها ، أما المعطى لها فله فيها فائدة إظهار السنة وثواب القدوة ، وهذا لمن قويت حاله وحسنت نيته وأمن على نفسه الرياء ، وأما من ضعف عن هذه المرتبة فالسر له أفضل ، وأما المعطي إياها فان السر له أسلم من احتقار الناس له أو نسبته إلى أنه أخذها مع الغنى عنها وترك التعفف ، وأما حال الناس فالسر عنهم أفضل من العلانية لهم من جهة أنهم ربما طعنوا على المعطى لها بالرياء وعلى الآخذ لها بالاستغناء"[٣].

كذلك يتبين للمتأمل في الآية الكريمة السابقة ما يلي :

١. (الصدقات) متعلقة بصدق النية لأنَّ أصلها صَدَقَ ومنه قولهم : (رجلٌ صَدِقُ النَظَر)، (وصَدَق فلان في خبره إذا أخبر به على الوجه الذي هو عليه صحيحاً كاملاً)، وسمى الله الزكاة صَدَقة لأن المال بها يصح ويكمل فهي سبب إما لكمال المال وبقائه، وإما لأنه يستدل بها على صِدْق العبد في إيمانه[٤] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٥١٠).

(٢) انظر : المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) الجامع لأحكام القرءان للقرطبي (٣ / ٣٣٣) .

(٤) انظر : مفاتح الغيب للفخر الرازي ، المجلد الرابع (٧ / ٧٦) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢. لفظ(الصَّدقات) يشمل الفريضة والنفل ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ** ﴾ [التوبة:١٠٣] ، أما لفظ الزكاة لا يطلق إلا على الفرض[١] .

٣. تقديم السر على العلن والليل على النهار ، في آيات الإنفاق فيه إيذان بمزية الإخفاء على الإظهار[٢] .

٤. التصريح بذكر قوله (الفقراء) عند الحديث عن الصدقة السرية في قوله: ﴿ **وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ** ﴾ [البقرة: ٢٧١] والسكوت عن هذه اللفظة عند الحديث عن إبداء الصدقة في قوله: ﴿ **إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ**﴾ [البقرة: ٢٧١] ذلك بأن الغني قد يدَّعي الفقر ويقدم على قبول الصدقة سراً ولا يفعل ذلك عند الناس ؛ لذا وجب التنبيه على إعطاء الصدقة في السر للفقير دون سواه[٣].

المطلب الثاني

الإسرار بالدعاء

سيختص الحديث في هذا المطلب ببيان أعبد الأقوال وهو فضيلة الدعاء لما روي عن النبي ﷺ قال : (إنَّ الدعاء هو العبادة)[٤] .

يقول الله _سبحانه وتعالى_ في شأن الدعاء : ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفيةً إنه لا يحب المعتدين ﴾ [الأعراف:٥٥] ، وأثنى _سبحانه_ على زكريا فقال: ﴿ **إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً**﴾[مريم:٣] ، والدعاء حقيقته النداء ، يطلق أيضاً على النداء لطلب مهم ويكون في العبادة بالقول، أو بلسان الحال كما في الركوع والسجود[٥] .

---

(١) انظر : مفاتح الغيب للفخر الرازي ، المجلد الرابع (٧ / ٧٦) .

(٢) انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ، المجلد الثاني (٣ / ٦٧) .

(٣)انظر : المرجع السابق (٣ / ٦٨) .

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد ، باب فضل الدعاء ،ح(٧١٤) ، ص٢٤٧ .

(٥) انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ، المجلد الرابع (٨ / ١٧١) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد بين الحق _تبارك وتعالى_ مزية الإسرار في الدعاء في قوله (خفية) وقولـه(دون الجهـر)، ذلك بأن الدعاء صورة التذلل والاستكانة للخالق[١] ، وهذا يتطلب خشوع القلب وصـحة اليقـين والأنسب لتحقيق هذه الغاية هو الخفاء والسر ، ولقد تجلى هذا المعنى في كلام النبي ﷺ لمَّا كان في غزوة فأشرف الناس على وادٍ يكبرون ويهللون ، ويرفعون أصواتهم ، فقال: (يا أيها النـاس أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم)[٢] .

وتميل الباحثة في هذه المسألة إلى الرأي القائل بأنَّ الأمر في الدعاء بالتضرع والخفيـة لا يفهـم منه منع الجهر بالدعاء، فقد ورد عن النبي ﷺ دعاؤه علناً في أكثر من مرة ، وما رويت أدعيته إلا لأنه جهر بها؛ ليسمعها من رواها وما ورد عن النبي بالجهر في الدعاء كما فـي الحـديث المتقدم (إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً) ، إنما يقصد منه النهي عن الجهر الشديد الخـارج عـن حد الخشوع[٣] .

كذلك ويتبين الرابط بين التضرع والخفية في الدعاء ، أن التضرع يأتي بمشاهدة العبـد لحاجـة نفسه وعجزه وافتقاره لكمال مولاه وعلمه وقدرته ورحمته ، فإذا حصل ذلك التضرع فلابـد لـه من الصون عن الرياء المبطل لحقيقة الإخلاص ، وهو المراد من قوله (وخفية)[٤] .

المطلب الثالث

الإسرار بمواعدة النساء

إنَّ المتأمل في التشريعات القرءانية المبينة لطبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة ، يجد أن الآيات قد تناولت جوانب متعددة وأحوال مختلفة ، ومن هذه الجوانب المهمة طبيعة هذه

---

(١)انظر جامع البيان للطبري(٥/٣٥٣٧).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿ وكان الله سميعاً بصيراً ﴾ ،ح(٧٣٨٦) ، (ص١٤٠٨)، ومعنى قوله اربعوا أي ارفقوا بأنفسكم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ص٣٣٨ .

(٣) انظر : تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ، المجلد الرابع (٨ / ١٧٢) .

(٤) انظر : مفاتيح الغيب للرازي ، المجلد السابع (١٤ / ١٣٠) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العلاقة ، خصوصاً في فترة معينة تقضيها المرأة بعد وفاة زوجها ، يقول سبحانه : ﴿ **وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾[البقرة:٢٣٥] ، فقد أشارت هذه الآية إلى أحكام رفيعة ، وبينت أهمية نقاء النفوس ؛ لإيجاد بناء اجتماعي سليم ، ومن هذه الأحكام :

١. جواز التعريض بخطبة المتوفى عنها زوجها ، والتعريض هو الميل عن التصريح بلفظ يدل على إرادة الزواج بعد انقضاء العدة ، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن التعريض مثل ن يقول: إني أريد التزويج، وإن النساء لمن حاجتي، ولوددت أن تيسر لي امرأة صالحة)[١].

٢. رفع الحرج في الرغبة المكنونة ؛ لأنَّ الله _تعالى_ يعلم أنَّ هذه الرغبة لا سلطان لإرادة البشر عليها[٢] .

وقد أباحها الله لتعلقها بميل فطري جائز، مما يدلل على سمو التشريع الإسلامي في تهذيب الميول الفطرية، وضبط النوازع البشرية[٣] .

٣. النهي عن المواعدة سراً على الزواج قبل انقضاء العدة ، ففي هذا مجانبة لأدب النفس، ومخالسة لذكرى الزواج وعدم مراعاة لحق الله في الالتزام بالعدة ، والسر أصله ما قابل الجهر، وهذا تأكيد على تجنب مواعدة صريح الخطبة في العدة.

والحكمة من النهي عن الوعد بالزواج من المرأة في عدتها سراً مع إباحته تعريضاً، أنَّ التعريض أسلوب من أساليب الكلام يؤذن بما لصاحبه من وقار الحياء، فهو يمنع من التدرج لما نهي عنه من الوقوع في الشهوة، وإيذانه بهذا الاستحياء يزيد ما طُبعت عليه المرأة من الحياء فتنقبض نفسها عن صريح الإجابة له بالمواعدة ، فيبقى حجاب الحياء مسدولاً بينهما؛ فلذلك رُخِّصَ في التعريض تيسيراً على الناس بمراعاة النوازع، ومنع التصريح إبقاءً على حرمات العدة[٤].

---

(١) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، باب : يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ،ح(٤٩١٢) ، ص٩٦٧.

(٢) انظر : في ظلال القرءان لسيد قطب(١ / ٢٥٦) .

(٣) انظر : المرجع السابق (١ / ٢٥٦) .

(٤) انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ، المجلد الأول (٢ / ٤٥٤) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وترى الباحثة فيما تقدم سمو التشريع الإسلامي الذي أقر رغبات النفوس دون تفريط يحرفها عن شرف الغاية أو إفراط يأبى مسايرة الفطرة .

المطلب الرابع

الإسرار بالمودة

المودة هي عماد عقيدة الولاء والبراء للباري سبحانه ، ومكانها القلب الذي هو موئل العاطفة، ومنبت الإحساس والمشاعر وهي معنى خفي لا يطَّلع عليه إلا الخالق عالم الغيب والشهادة[١].

ولذلك كان عطاء الله_تعالى_ للعبد على قدر إخلاصه في هذه المحبة لله ولرسوله ولدينه ولعباده المؤمنين، فلابد أن تجرد هذه المحبة لله وتصفى وتنقى من أي شائبة شرك أو غبار رياء، أو تكدير نفاق ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾[الممتحنة: ١].

وقد نزلت هذه الآية في (حاطب بن أبي بلتعة)[٢] الذي كان قد كتب إلى قريش بمكة يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم ليتخذ بذلك يداً عندهم لا شكاً ونفاقاً ، وأرسله مع امرأة ، فأُخبر النبي بشأنه ، فأرسل إلى المرأة قبل وصوله ، وأخذ منها الكتاب وعاتب حاطباً ، واعتذر _رضي الله عنه_ بعذر قبله النبيﷺ[٣] .

---

(١)انظر : حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة ، تأليف سيد سعيد عبد الغني ص٢٩.

(٢) هو حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمي كان ممن شهد بدراً ، توفي سنة ثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنه ، انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني(١/ ٣٠٠).

(٣) انظر : صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ ، ح(٤٨٩٠) ، ص٩٦٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي الآية المتقدمة نهي شديد عن موالاة الكفار من المشركين وغيرهم وإلقاء المودة وإسرارها إليهم ، ووجوب الحذر من العدو الذي لا يألو جهداً في إيصال الضر والأذى[١]،وينبغي للمرء إن أراد النجاة، أن يكون إسراره بالمودة لخالقه ومولاه، لا لأحد سواه ، فهو المطّلع على القلب وما تخفيه الصدور، إذ في صرف المودة لسواه _سبحانه_ يتحقق البوار والخسران .

ويتبين من خلال تأمل الآية السابقة ما يلي :

١. عبَّر القرءان الكريم عن مودة المشركين تارةً بالفعل (تلقون)، وتارةً بالفعل (تسرون)، والإلقاء رمي ما في اليد على الأرض بدون تدبر في موقعه ، فهكذا مودة الكفار تكون في غير موضعها الصحيح الذي يريده الله _عز وجل_ أن يخص به ذاته في السر والعلن[٢].
٢. موالاة الكفار رجاء نفعهم لا يعد دهاءً أو حزماً، إذ إن الذي أضمر العداوة زمناً يعسر عليه أن ينقلب ودوداً[٣].
٣. الإخفاء والإعلان سواء في علمه _سبحانه_ فلا طائل في إسرار لا يرضاه عز وجل[٤] .

المبحث الرابع

التسريرة يوم القيامة

المطلب الأول

---

(١)انظر : تفسير السعدي ص٨١٥ .

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ، المجلد الحادي عشر (٢٨ / ١٣٤) .

(٣)انظر : المرجع السابق (٢٨ / ١٣٩) .

(٤)انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ، المجلد الخامس عشر (٢٩ / ٢٩٨) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابتلاء السرائر يوم القيامة

الابتلاء: هو الاختبار والتمحيص، وذلك لقوله تعالى: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ** ﴾ [البقرة:١٥٥] وهو كذلك يتضمن معنى الظهور كما في قوله تعالى: ﴿ **وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾ [محمد:٣١]، أي نظهرها[١]، وقد سبق في التمهيد تعريف السرائر بأنها عمل القلب وما خفي من عمل الجوارح حيث يقول الله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ**﴾ [الطارق:٩]، ففي هذه الآية إشارة إلى أن ابتلاء السرائر يوم القيامة ، يتحقق بظهورها بعد الخفاء والاستتار ليتم تمحيصها واختبارها ، وهذا المعنى يتضح في قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ**﴾ [غافر:١٦] .

واختبار سرائر الصدور يُظهر ما كان في القلوب من خير وشر على صفحات الوجوه ، قال تعالى:﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾[آل عمران:١٠٦] ، ففي الدنيا تتكتم كثير من الأمور ولا تظهر عياناً للناس ، وأما يوم القيامة فيظهر بر الأبرار وفجور الفجَّار، وفي هذا المعنى قال رسول الله ﷺ : (لكل غادر لواء ينصب بغدرته) [٢]،والغادر : الذي يواعد على أمر ولا يفي به ، فيفضح بذلك يوم القيامة ، كذلك بيَّن القرءان الكريم مآل الغلول يوم القيامة ، والغلول هو الأخذ من الغنيمة على وجه الخفية[٣]، وقد توعد الله _تعالى_ الغالَّ بفضحه على رؤوس الأشهاد ؛ وذلك لتحميله ما غلَّه في ذلك اليوم[٤]،قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** ﴾[آل عمران:١٦١] .

من هنا فإنَّ المتأملَ في انكشاف المخبوء يوم القيامة ليَتَيَقَّن من غُبن كثير من الناس في هذه الحياة الدنيا ، الذين بالغوا في إخفاء ما يغضب الله _عز وجل_ عن أناسٍ أمثالهم ، ولم يُعِدُّوا العُدَّة لانكشاف ما ستروه عمَّن يعلم الخبء في السماوات والأرض .

---

(١)انظر : تفسير الجلالين للإمامين محمد بن أحمد المحلي وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ص٥٠٨

حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة ، تأليف سيد سعيد عبد الغني ص٢٩ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجزية والموادعة ، باب إثم الغادر للبر والفاجر ،ح(٣١٨٨) ، ص٦١٢

(٣) انظر : لسان العرب لابن منظور مادة (غل) (١١ / ٤٩٩).

(٤)انظر : القيامة الكبرى للدكتور عمر سليمان الأشقر ص ١٥٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

السرور يوم القيامة

" السرور مأخوذ من السر ؛ لأن المراد ما ينكتم من الفرح "[1]، وقد نبه القرءان الكريم على تحقق سرور المطيعين بنعيم العقبى في قوله تعالى: ﴿ **وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً**﴾ [الانشقاق:٩] ، إذ إن سرور يوم القيامة من تمام نعمة الله _عز وجل_ لما يتسم به من دوام لا ينغصه كدر ، قال تعالى: ﴿ **فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً**﴾ [الإنسان:١١] ، أما سرور الدنيا فليس بالذي تُؤمن عواقبه ، حيث قال الله _تعالى_ مخبراً عن حال الكافر: ﴿ **إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً**﴾ [الانشقاق:١٣] ؛ لذا ترى الباحثة لزوم التفريق بين استعمال القرءان للفظتي السرور والفرح ، فقد بدا جلياً من خلال النظر في الآيات المتقدمة تخصيص لفظة السرور دون الفرح عند الحديث عن مآل المطيعين يوم القيامة، أما الفرح فهو ضد الترح وهو انشراح الصدر بلذة عاجلة[2]،وهذا لا يلائم سرمدية الثواب في الدار الآخرة .

ومن الملاحظ كذلك أنَّ القرءان الكريم لم يرخِّص في الفرح إلا في موضعين :

الأول / في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا** ﴾ [يونس:٥٨] .

الثاني / في قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [الروم:٤] .

وسوى هذين الموضعين أتى التعبير عن الفرح بصيغة عدم الترخيص ، قال تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**﴾ [القصص:٧٦] ، وكذلك قوله: ﴿ **ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** ﴾[غافر:٧٥]، وقوله: ﴿ **فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ**﴾ [التوبة:٨١]، ومن خلال هذه المعاني يتبين مدى إحكام المعنى في استعمال القرءان للفظة السرور الحاصل يوم القيامة دون الفرح، إذ إن اللذَّةَ من ذلك السرور الخالد هي لَذَّةٌ أبدية بخلاف سرور الدنيا وفرحها .

---

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (٣ / ٢٠٨) ، وانظر : لسان العرب لابن منظور (٢ / ٥٤١)
تفسير الجلالين للإمامين محمد بن أحمد المحلي وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ص٥٠٨
حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة ، تأليف سيد سعيد عبد الغني ص٢٩ .

(٢)انظر: بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (٢ / ١٧٨)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

نزع الغل من صدور أهل الجنة .

الغل هو الحقد والضغن ، ونزعه يتحقق بتخليص نفوس أهل الجنة منه ، فإذا هم إخوان متقابلون في صفاء النفوس وطهارة القلوب ، وفي هذا المعنى قال تعالى:﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**﴾ [الحجر:٤٧] ، ويعد نزع الغل من جملة ما ينعم الله به على أهل الجنة ، فيزيل ما كان في قلوبهم في الدنيا من الغل عند تلقِّى ما يسوء من الغير ، فتطهر نفوسهم في حياتهم الثانية ، وتتخلص من الانفعال بالخواطر السيئة ، إذ إن الغل لو بقى في صدورهم كما كان في الدنيا لكان في ذلك تنغيص لنعيم الجنة[١] ، وقد بين ﷺ ذلك في قوله: (يخلُص المؤمنون من النار فيُحبَسون على قنطرة بين الجنة والنار فيُقصُّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِن لهم في دخول الجنة ، والذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا)[٢] ، ومن الملاحظ كذلك دعاء المؤمنين في الدنيا بنزع الغل من قلوبهم تجاه إخوانهم المؤمنين قال تعالى :﴿ **وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [الحشر:١٠] ، وذلك لأن الأصل أن تمتلئ القلوب حباً وولاءً لأهل الإيمان بعد أن نأت عنها الأحقاد والأضغان ، فسلامة الصدر من الغل والأحقاد هي الطريق لإنارته بالهدى والصفاء، مما يجعل صاحبه من الفائزين يوم القيامة قال تعالى:﴿ **يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء:٨٩]، وهى كذلك من دعائم الألفة والوحدة بين المؤمنين قال تعالى:﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً**﴾ [آل عمران:١٠٣] ، وما أحوج الناس في زمن الإمكان إلى نزع الغل والأضغان من صدورهم ، إذا كان لا ينفعهم عند المعاد إلا قلب سليم من الأدران .

المطلب الرابع

إسرار الندامة عند رؤية العذاب .

---

(١) انظر : فتح القدير للشوكاني (٢ / ٢٩١) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب القصاص يوم القيامة ،ح(٦٥٣٥) ، ص١٢٥٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن المتأمل في الآيات القرءانية التي تتحدث عن مشاهد القيامة يرى الأهوال العظام والنوائب الجسام التي تنزل بالكفرة والمجرمين في ذلك اليوم العظيم ، فقد سماه الله _عز وجل_ يوم الحسرة ؛ وذلك لشدة تحسُّر العباد، وتندمهم فيه قال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[مريم:٣٩]، ويبلغ الأسى والأسف والندم بالكفار مبلغاً عظيماً لا يملكون معه التصريح بحسرتهم وندمهم ، قال _تعالى_ مبيناً حال الكفار:﴿ **وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾ [يونس:٥٤] ، فللمرء أن يتخيل ما في الأرض من موجودات جميعها لا يرقى لكي يكون فدية من العذاب على ظلم مضى في هذه الدنيا ، إن هذا المشهد يوضح بجلاء حالة الندم الشديد الذي لحق الظالمين ، حتى أصبح تكتمهم وإسرارهم لندمهم أبلغ في التعبير من تصريحهم به .

كذلك يبين القرءان إسرار الندامة حين يكون الظالمون موقوفين عند ربهم يرجعون القول إلى بعضهم البعض ، بين مستكبرٍ ومستَضعَف حتى ينتهي بهم الحال إلى تجرع ندمهم وإخفاء حسرتهم التي لا طائل من وراء الإعلان عنها ، قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [سبأ:٣٣] ، ويجدر البيان هنا بأن الندامة يوم القيامة تظهر جهراً في مواقف أخرى[١] كل موقف بحسبه ، إذ قال تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً**﴾[الفرقان :٢٨] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ* فاعترفوا فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [الملك:١٠-١١] .

وتخلص الباحثة من خلال ما تقدم إلى أن الندم يوم القيامة سواء كان على سبيل الإسرار أم على سبيل الجهر فإنه لا ينفع صاحبه ؛ وذلك لانقضاء زمان العمل ، وهذا يرشد المؤمن إلى ضرورة توظيف ندمه على ما فرط من طاعات وقربات في هذه الدار ، فيجدّ في الطلب قبل انقضاء موسم الأرباح .

---

(١)انظر : القيامة الكبرى لعمر سليمان الأشقر ص٢٤ .

(٢)تفسير السعدي ص٦٥٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

أدواء السريرة

- **المبحث الأول** : اتباع الهوى .
- **المبحث الثاني** : الرياء .
- **المبحث الثالث** : إيثار الحياة الدنيا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

اتباع الهوى

يُعد اتباع الهوى من أخطر الآفات ، وأعظم العِلل المهلكات ، وهو شأن الضالين المضلين من الناس ، وما نأى عنه إلا المخلصون الصادقون ، وستبين الباحثة في هذا المبحث ما يتعلق بهذه الآفة من معاني .

المطلب الأول

الهوى لغةً واصطلاحاً

الهوى لغةً / مأخوذ من (هوى) بمعنى سقط ، ومنه قوله تعالى:﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى** ﴾ [النجم:١] ، وهوى إلى الشيء مال إليه وأحبه ومنه قوله تعالى:﴿**فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ** ﴾ [ابراهيم :٣٧] .

والهوى : إرادة النفس تكون في الخير والشر[١] ، ويُجمع الهوى على أهواء .

والهوى اصطلاحاً هو :

* " ميل الطبع إلى ما يلائمه "[٢] .

* وعُرِّف بأنه " ميل النفس إلى ما تشتهي "[٣] .

* وقالوا إنه " ميل النفس إلى ما تحب من غير اصفاء لحكم الشريعة منه "[٤] .

* وأيضاً هو " ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع "[٥] .

ومن خلال تأمل التعريفات السابقة ، يمكن ملاحظة أن بعضها أشار إلى الذم في المراد بالهوى، وذلك في استبعاد داعية الشرع عند ميل النفوس إلى ما تحب ، في حين توقف

---

(١) انظر : القاموس المحيط للفيروز آبادي ص١٢١١ .

(٢) ذم الهوى لابن الجوزي ص٢٧ .

(٣) بصائر ذوي التمييز (٥ / ٣٥٩) .

(٤) التعريفات لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني ص ٢٥٢ .

(٥) معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس قلعجي ص٤٦٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعريف الأول عن الحكم على المراد بالهوى من حيث الذم وعدمه واكتفى بأنه ميل الـنفس إلى ما يلائمها ، وعند موازنة الأقوال السابقة ، يمكن الوصول إلى ما يلي :

أولاً/ إن ميل النفوس إلى ما تحب هو أمر قد خلق في الإنسان لضرورة بقائـه ، ولإعانتـه على إصلاح حاله ، وهذا في الأصل ممدوح لا مذموم إذا كان ما يهواه مستجلب له ما يفيـده ، دافع عنه ما يؤذيه[١] .

ثانيـاً/ إذا أفرطت النفوس في الميل إلى ما تشتهي وأصبح ذلك هو الغالب عليها، فذلك هـو الهوى المذموم.

ثالثاً/ من الملاحظ كذلك إطلاق ذم الهوى والشهوات فلا يكاد يذكر حتى يقـرن بالتحـذير والنهي، وهذا تفسيره أن الغالب من موافقة الهوى هو عدم الوقوف عند حد الانتفـاع فقـط، وإنما عموم غلبة الضرر من مسايرة الهوى[٢].

المطلب الثاني

ذم اتباع الهوى

بين القرءان الكريم أن اتباع الهوى من أخطر أدواء السريرة ؛ وذلك لما يمثله من دلالة واضحة على انتفاء صدق التوجه والانشغال بالعوائق العارضة ، وقد جاء الهوى مذموماً فـي القـرءان إحدى وثلاثين مرة ، على صور متعددة منها :

أولاً/ النهى الصريح عن اتباع الهوى ، ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ **فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْـدِلُوا**﴾ [النساء:١٣٥] .

ويمكن تقسيم هذا النهي من حيث المخاطب به إلى قسمين:

- الأول / نهي لبعض الرسل _عليهم السلام_ مثل ما ورد في شأن نبي الله داوود _عليه السلام_ في قوله تعالى : ﴿ **يا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى** ﴾ [ص:٢٦] ، وذلك في بيان مسئوليته _عليه السلام_ تجاه مستلزمات الاستخلاف المتمثلة في الحكم بالعدل ، كذلك ما ورد في

---

(١) انظر : الطب الروحاني لابن الجوزي ص١٤ .

(٢) انظر : ذم الهوى لابن الجوزي ص٢٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرءان في شأن النبي ﷺ من توجيه الله _عز وجل_ له بمخالفة أهواء المكذبين الجاهلين كما في قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الجاثية:١٨] ، وقوله تعالى:﴿ **وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ** ﴾ [المائدة:٤٨].

ومما يجب التأكيد عليه هنا أن النهي عن اتباع الهوى في حق الأنبياء إنما ينصرف الجهد فيه إلى أفعال المدعوين المكلفين باتباع الرسل من بيان خطورة ركون الشريعة إلى أهواءهم الباطلة ؛ لذلك أضيف الهوى في الآيات السابقة إليهم دون نسبته إلى الرسل عليهم السلام .

- الثاني / نهي عام للمؤمنين عن اتباع الهوى ووجوب القيام بالقسط ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾ [النساء:١٣٥] .

ولا ريب في أن أكبر العوائق أمام القيام بالقسط مع النفس[1]، أو مع الأحباب هو اتباع الهوى ، إذ مع مجاراته على مراده يتأتى عمى البصيرة ، فيصبح الحق باطلاً والباطل حقاً .

ثانياً / ذكر خبر بني إسرائيل في تكذيبهم الرسل واستكبارهم على الحق حتى وصل بهم الأمر إلى قتل النبيين كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ**﴾ [البقرة:٨٧] ، وقد بين الله _تعالى_ ما استحقوه من حلول اللعنة لما آثروا هوى أنفسهم على هدي ربهم سبحانه .

ثالثاً / المفاصلة بين متبع الهدى ومتبع الهوى ، فقد فاصلت الآيات القرآنية بين أرباب الهداية وأرباب الغواية مفاصلتها بين الحياة والموت ، وبين النور والظلمة والإبصار والعمى، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام:١٢٢] . وكذلك قوله تعالى : ﴿**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ** ﴾ [هود:١٧] ، وقوله كذلك : ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ** ﴾ [محمد:١٤] .

---

(١) انظر : تفسير السعدي ص١٨٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذ يتبين من تأمل هذه الآيات مدى المفاصلة لا المفاضلة بين متبع الحق والهدى ومتبع الضلال والردى ، فهما عند الله لا يستويان ولا يخفى ما أشارت إليه الآيات من ذم وتحقير لمن سلّم زمام أمره لما تهوى نفسه واستحسن تزيين الشيطان لأعماله فَضَلّ سواء السبيل .

يقول ابن الجوزي : " فينبغي للبيب إذا اختلف عقله وهواه ، وقد علم أن العقل عالم ناصح أن يستشيره وأن يصبر على مضض ما يأمر به، ويكفيه في إيثار العقل علمه بفضله ومن حكّم هواه على عقله فقد صيرّ المتبوع تابعاً والمأموم إماماً ، فإنه يتأذى من حيث قدّر النفع، ويحزن من حيث أراد الفرح "[1].

ومن الشواهد العقلية على ذم الهوى تفكر الإنسان في نفسه، وعلمه أنه لم يخلق لموافقة هواه فإنَّ حظ البهائم من الشهوات أكثر منه لأنها مطلقة في محبوباتها من غير حصر ، فلما نقص حظ الآدمى من هذه الشهوات علم أنه لم يخلق لها وإنما لغاية أجلّ وأعلى[2] .

المطلب الثالث

عواقب اتباع الهوى

عرض القرءان الكريم في حديثه عن آفة اتباع الهوى سوء المآل والعاقبة التي تلحق متبع الهوى ، ومن ذلك ما يلي :

أولاً / افتقاد نصرة الله _تعالى_ وولايته ، فقد جعل _تعالى_ اتباع الهوى خاصة بعد حصول نعمة الله _تعالى_ بالعلم والهداية من أعظم الأسباب لفقدان نصرته وولايته ، قال عز وجل : **﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾** [البقرة:١٢٠] .

معلوم أن الخطاب للنبى ﷺ تدخل فيه الأمة بالتبعية[3] ما لم يخصصه مخصص والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[4]، من هنا علم ما يختاره الإنسان لنفسه من سوء عاقبة

---

(١) بتصرف من كتاب الطب الروحاني لابن الجوزي ص١٥ .

(٢) انظر : المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) انظر: تفسير السعدي، ص٥٨.

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن للإمام محمد بن عبد الله الزركشي (٤٦/١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حين يولى قيادة أمره لسلطان هواه فيحرم نصرة مولاه وولايته قال تعالى: ﴿**إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ** ﴾ [آل عمران:١٦٠] .

وعلى الأمة إن أرادت من الله ولاية ونصراً وليس لها ذلك إلا منه _سبحانه_ أن تسلك على المدى طريق الهداية وتهجر إلى غير رجعة طريق الأهواء ليتحقق لها العتق والخلاص.

ثانياً / استهواء الشياطين ، والاستهواء هو طلب اتباع الهوى وهو ما يسعى الشيطان لتحقيقه من الإنسان لتحصل له الحيرة والخذلان عندما تتنازعه دواعي النفس الأمارة بالسوء ، مع داعي الحق والهدى ، قال تعالى:﴿ **قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام:٧١] ، وعلى ذلك فالناس منهم من ظفر به هوى نفسه ، فملكه وأهلكه وصار طوعاً له[١]، وقسم ظفر بهوى نفسه فقهره فأراح واستراح ، وقسم تتنازعه داعي الهدى وداعي الهوى ، فتملكته الحيرة والخذلان وقد بين القرءان أن الخلاص من هذه الحيرة يتحقق بسلوك درب الهدى والإيمان .

ثالثاً / مماثلة البهائم ، وتعد أسوء المنازل التي يوصل إليها اتباع الهوى إذ يهبط الإنسان بموجبها من علو دار الفضل والعلم والهدى إلى قعر دار الضلال والردى فيماثل أخسَّ الحيوانات وأذلها ، وهذا يبينه قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ**﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦] .

ووجه الشبه بين متبع هواه والكلب هو دوام الحال على وجهة واحدة من السوء[٢] ، ولزوم الإخلاد إلى الدون مع اختلاف عوامل التأثير ويتبين في هذه الصورة القرءانية أشد ما يوصل إليه اتباع الهوى من قبح العاقبة وذلة المآل حين يستوي الآدمي الذي هو مظنة الرفعة حين ينتفع بالآيات فيهبط بمسايرة هواه إلى خسة الكلب وذلته وضعته.

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم (٧٥/١)

(٢) انظر : تفسير الكشاف للزمخشري (٢ / ٢٢٠) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً / فساد السماوات والأرض ومن فيهن ، وهذه العاقبة من أكثر عواقب اتباع الهوى عموماً وشمولاً ، إذ يمتد أثرها وخطرها فيشمل أكبر المخلوقات وأعظم الموجودات وهي السماوات والأرض فضلاً عمن فيهن من العوالم الأخرى ، قال تعالى:﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ [المؤمنون:٧١] .

وأصل الخلق لهذه السماوات والأرض قائم على الحق ، بدلالة قوله تعالى:﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ، مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الدخان:٣٨-٣٩].

واتباع الحق لأهواء أهل الباطل موصل لاختلال انتظام العوالم[١] مع شموله في ذلك لفساد من في السماوات والأرض من مخلوقات حين تختل لديها القيم وتتضارب عندها الموازين ، فلا ترى الحق حقاً ، ولا الباطل باطلاً ، كما يظهر الفساد عند الإنسان بصورة جلية عند انفراط أمره بسبب مسايرة هواه ، وفي هذا المعنى قال عز وجل: ﴿**وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً** ﴾ [الكهف:٢٨] ، فجعل الله _تعالى_ انفراط أمر الإنسان ، وتجاوزه لحد الهدى نتيجة لاتباعه للهوى .

وقد عبر القرءان الكريم عن أشد مراحل اتباع الإنسان لهواه ، وهي مرحلة تأليه الهوى ، وذلك في قوله تعالى:﴿**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً**﴾[الفرقان:٤٣]، واتخاذ الهوى إله يُعبد هو غاية فساد العقيدة حين تنفلت النفس من كل المعايير الثابتة ، وتخضع لهواها وتحكم شهواتها وفي ذلك هلاكها ومنتهى غيّها وضلالها[٢] .

كما بيّن الحق _سبحانه_ عواقب تأليه الهوى في قوله تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ**﴾ [الجاثية:٢٣] ، إذ يتبين من خلال تأمل هذه الآية إشارات مهمة منها :

١) متخذ هواه ليس بالضرورة أن يكون جاهلاً ، بدليل قوله تعالى : ﴿ **عَلَى عِلْمٍ** ﴾ ، وهذا المعنى يُكسب المؤمن درساً في وجوب الحذر من أهل الأهواء ، وألا يغرُّه ما كان لديهم من علم ما دام علمهم لم يهدهم سبيل الرشاد .

---

(١) انظر : تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ، المجلد الثامن (١٨ / ٩٣) .

(٢) انظر : تفسير الظلال لسيد قطب (٥ / ٢٥٦٦) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢) إنَّ أثر اتخاذ الهوى إلهاً وما يمثله من فساد في الاعتقاد يلقي بظلاله على أهلـــه فيعطـــل منهم الجوارح كالسمع والبصر فلا ينتفعون بها ويتغلغل في باطنهم ، فيُشين أهم مضغة فيـــه وهي محل إطلاع المولى فيفسد القلب ، وهذا غاية الضلال وأسوأ المآل لمن أَلَّهَ هَواه واتخذه معبوداً من دون الله عز وجل .

٣) في هذه الآية تحذير من أن يكون الهوى هو الباعث للمؤمنين على أعمـــالهم ، ويتركـــوا اتباع أدلة الحق لأن العمل لابد أن يكون تابعاً للعلم وليس للهوى ، أما اتباع الأمر المحبـــوب لإرضاء النفس دون نظر في صلاحه أو فساده ، فذلك سبب الضلال وسوء السيرة[١] .

المطلب الرابع

عقبى مخالفة الهوى

ليس أدل على فضل مخالفة الهوى من تأمل عواقب موافقته، وما يجنيه على أربابه من هتـــك الأستار، وحط المنزلة، وفوت الفضائل، فمتابعة هوى النفس فيه ذل لها لكونها مغلوبة، أمـــا قهرها لهواها ففيه عزها لأجل أنها غالبة، وقد قال الشاعر:

خالف هواك إذا دعاك لريبة فلربَّ خيرٍ في مخالفة الهوى[١] .

" ومما يدلل على فضل مخالفة الهوى تقديم كلب الصيد وإكرامه على أبنـــاء جنـــسه؛ وذلـــك لمكان مخالفته للهوى من حبس ما صاده على صاحبه دون أكله خوفاً من عقوبته أو شـــكراً لنعمته "[٢].

وقد بين القرءان الكريم عقبى مخالفة الهوى متمثلةً في تحقيق الرفعة في الـــدنيا فـــي قولـــه تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَـــاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْـــأَرْضِ**﴾[الأعراف:١٧٥- ١٧٦] ، فاستحقاق الرفعـــة

---

(١) انظر : تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ، المجلد العاشر (٢٥ / ٣٦٠) .

(٢) ديوان أبي العتاهية ص٢٦ .

(٣) الطب الروحاني لابن الجوزي ص١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المذكورة في الآية كان بسبب الانتفاع بآيات الله ، وعدم الركون إلى هوى النفس ، ومنعها من النزول إلى الدون والالتصاق بأرض الشهوات ، وهذه الرفعة في الدنيا تتحقق بالهداية والإرشاد إلى الحق وتلقين الحجة[1] ، وقد بين القرءان الكريم أنَّ رفعة الآدمي في الدنيا منوطة بمدى التزامه بمنهج خالقه وإيثاره ما يرضى ربه على هوى نفسه ليفوز بالحياة الطيبة كما في قول تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[النحل:٩٧] ، وهذا وعد منه _سبحانه_ بطيب الحياة الدنيا للإنسان ذكراً كان أو أنثى ، لما يتحقق لديه الإيمان الذى يدفعه للعمل الصالح ، وأعظم هذا العمل هو ما جاهد الإنسان فيه هوى نفسه وراقب بعين العقل عاقبة أمره فتحرر من أسر الهوى ، وكان بذلك مظنة الفوز بالحياة الطيبة ممثلة في الرضا بما قسم الله تعالى ، وحسن الأمل بالعاقبة ، والصحة والعافية ، وعزة الإسلام في النفوس ، وهذا المقام الدقيق من تلمس مظاهر الحياة الطيبة تتفاوت فيه أحوال الناس بتفاوت سرائر نفوسهم[2] .

كذلك أرشد القرءان الكريم إلى نوع آخر من الرفعة الناتجة عن مخالفة الهوى ، وهي الرفعة في الآخرة وتمثل غاية الرفعة ومنتهى الآمال والرجاء ، ينالها الإنسان حين يتحقق لديه خوف مقام الله _تعالى_ ظاهراً وباطناً ، فينهى النفس عن الهوى والإخلاد إلى الأرض ، فبذلك يستحق جميل المآب عند الله تعالى ، حين ينعم عليه بالإيواء إلى بيت الرفعة والهناء ، وهذا ما بينه القرءان في قوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾[النازعات:٤٠-٤١] ، وهذه الآية ترشد المؤمن إلى أجلِّ الرفعة وأجدرها ببذل الجهد ، إذ كل رفعة في الدنيا لا توصل صاحبها إليها ، وتقصر به عن نيلها ، هي رفعة خالية من الحقيقة والمضمون .

المبحث الثاني

الرياء

الرياء آفة القلب ، ومفسدة السريرة ، وهو الجالب لحبوط العمل وذهاب بركته ، ويقع الرياء من قلة المعرفة بالله عز وجل وتعظيم قدر الخلق ، وإيثار النفس مدحهم وحمدهم .

---

(١) انظر : فتح القدير للشوكاني (٢ / ٣٧٢) .

(٢) انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ، المجلد السادس (١٤ / ٢٧٣) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

الرياء لغةً واصطلاحاً

أولاً / الرياء لغةً: مأخوذ من الفعل (رأى) وراءى الرجل مراءاة ورياء ورئاء إذا أظهر خلاف ما هو عليه ، والمرائي من الناس مَن يُرى غيره أنه يفعل وهو لا يفعل بالنية ، وذلك إذا أبدى عملاً صالحاً رياء وسمعة[١] .

ثانياً / الرياء اصطلاحاً: تعريفات العلماء للرياء عديدة وإن اختلفت في ألفاظها إلا أنها متقاربة في معناها ومن هذه التعريفات:

* " إظهار العبادة بقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها "[٢] .

* " الفعل المقصود به رؤية الخلق غفلة عن رؤية الحق عماية عنه "[٣] .

*" ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه "[٤] .

وقد فرَّق العلماء بين الرياء والسمعة بأن الرياء يتعلق بحاسة البصر ، والسمعة بحاسة السمع[٥] ، ويلاحظ من التعريفات السابقة اتفاقها على صرف العمل إلى وجهة معينة صرفاً في غير موضعه ، إذ إنَّ المرائي بحرصه على نيل رضا الناس قد ضل سبيل الوجهة المطلوبة ، وهي قصد رضا الله _سبحانه_ فكان عنده ممقوتاً مذموماً وقد قال النبي ﷺ: (من سمّع سمّع الله به ، ومن يرائي يرائي الله به)[٦] .

كذلك يلاحظ مما تقدم من تعريفات للرياء أن التعريف الأول خص الرياء بما كان في العبادة فقط ، في حين أفاد التعريفان الآخران عموم ما يقع فيه الرياء ، ومعلوم أنَّ الرياء يتحقق في أعمال الدين وأعمال الدنيا .

---

(١) انظر : لسان العرب لابن المنظور (١٤ / ٢٩٦) .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (١١ / ٣٧٩) .

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لأبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٥١٧/١) .

(٤) التعريفات للجرجاني ص١١٦ .

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر(١١ / ٣٧٩) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الرياء والسمعة ، ح(٦٤٩٩) ، ص١٢٤٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

علاقة الرياء بالعقيدة والعمل

جاء الرياء في القرءان الكريم مرتبطاً بفساد الاعتقاد ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾[الكهف:١١٠] ، ذلك أنَّ أصل الدين الذي بعث الله به رسوله ﷺ والمرسلين قبله ، هو إفراده _تعالى_ بالعبادة .

ولا تكون هذه العبادة مقبولة عند الله _تعالى_ إلا إذا كانت خالصة لوجهه من رياء المخلوقين والتصنع لهم ، وطلب مدحهم وحمدهم ونيل الحظوة والمكانة في نفوسهم وجعل هذه العبادة المقبولة مبنية على أصول التوحيد[1] لله تعالى وإفراده بها ، وقد بين النبي ﷺ في الحديث القدسي خطورة فساد الاعتقاد المرتبط بالرياء ، وذلك في قوله ﷺ : قال الله تعالى : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)[2] .

كذلك جاء الرياء في القرءان مرتبطاً بالنفاق ، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً** ﴾ [النساء:١٤٢] ، فبين الله تعالى للمؤمنين أنَّ هذه الخصلة المذمومة لا يحق أن تصدر منهم ، وهي صفة ألصق ما تكون بأهل النفاق ؛ ذلك بأنهم لا يقصدون بأعمالهم وجه الله _تعالى_ تبعاً لفساد بواطنهم ، وإنما يقصدون إعجاب الناس ، أو اتقاء بأسهم والتمويه عليهم .

كما اقترن الرياء في القرءان بانتفاء الإيمان بالله واليوم الآخر كما في قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة :٢٦٤] ، وقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً**﴾[النساء :٣٨] ، إذ أفادت هذه الآية اقتران الرياء بسوء القرين وهو الشيطان ، وفي ذلك إفادة الزجر للمؤمنين عن الإقدام على أفعال يشابهوا فيها أهل الكفر حين يكون المقصود

---

(١) انظر : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، ص٣٧٩

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، ح (٢٩٨٥)، ص١٥٤٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من أفعالهم هو الرياء وليس وجه الله تعالى . كذلك جعل الله _سبحانه وتعالى_ آفة الرياء من أهم ملامح المكذبين بالدين وأنَّ أعمالهم مهما كانت في ظاهرها من الطاعات فإنها مردودة عليهم معذبون بها ، ويؤيد ذلك قوله تعالى في سورة الماعون: ﴿ **الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ** ﴾[الماعون:٦-٧] ، وجملة أقوال العلماء في الرياء المذكور في آية الماعون ترجح أنَّ المراد به رياء المنافقين الذين ابتدأت السورة بوسمهم بالتكذيب بالدين[١].

من خلال ما تقدم يتبين أنَّ خطاب النهي القرءاني الصريح والمباشر للمؤمنين على وجه الخصوص عن أي آفة من الآفات لم يشمل بحالٍ آفة الرياء ، وإنَّ تحذير الله لهم من هذه الآفة الوبيلة كان على سبيل إلحاقها بالكفار كونها من خصائصهم ، ولم يصرح بالنهي عنها في مخاطبة أهل الإيمان ، وهذا يدل دلالة واضحة على أن نقاء الإيمان في قلوب أهله مدعاة لانتفاء ما يعكر صفو سرائرهم من رياء وسمعة .

المطلب الثالث

علاقة الرياء بمحق الأجر والثواب على الأعمال

أولاً / بطلان أجر الصلاة :

تحدث القرءان الكريم عن فلاح المؤمنين ، وجعل أول دلائل فلاحهم هو الخشوع في الصلاة والمحافظة عليها ، فقال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ [المؤمنون:١-٢] .

ومعلوم أن الخشوع في الصلاة والمحافظة عليها لا يتأتى إلا بصرف الهمة إلى الخالق العظيم ، وبِقَدر ضعف همة التطلع إلى مرضاة الله ، تتفرق هذه الهمة إلى نظر المخلوقين إمّا رجاء مدحهم وثنائهم ، وإما دفعاً لبأسهم ، وقد بين النبي ﷺ أنَّ الرياء في الصلاة يُعدُّ من شرك السرائر ، وذلك في قوله: (يا أيها الناس ، إياكم وشرك السرائر ، قالوا يا رسول الله : وما شرك السرائر ، قال : يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه فذلك شرك السرائر)[٢] .

---

(١) انظر : تفسير الكشاف للزمخشري (٤ / ٦٣٨) ، تفسير أضواء البيان للشنقيطي (٩ / ٥٤٥) .

(٢) سبق تخريجه في التمهيد، تعريف السريرة اصطلاحاً ص ٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك عرضت الآيات القرءانية صورة لصلاة المنافقين أظهرت بجلاء مدى ضلالهم وخسرانهم ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً**﴾[النساء :١٤٢] .

فالمنافقون بما تميزوا به من قبيح الصفات وشنائع السمات يتثاقلون عن أكبر الطاعات العملية وهى الصلاة ، وهم في ذلك قد امتلأت سرائرهم بالرياء مقصدهم من صلاتهم رؤية الناس وليس إخلاصاً لله –عزوجل- العالم بالسرائر والضمائر فانقطع عنهم سبيل هدايته[١] .

وقد أوضح النبي ﷺ فساد ظواهر المنافقين المتمثل في تكاسلهم عن الصلاة ، وفساد سرائرهم المتمثل في الرياء في الحديث: (أثقل الصلاة على النافقين العشاء والفجر ، وقال : لو يعلمون ما في العَتَمة والفجر)[٢] .

كذلك بينت سورة الماعون التلازم بين التكذيب بالدين والرياء في الصلاة ، ذلك بأن المنافق قد تحقق فيه السهو العقائدي حين صرف صلاته لرؤية الناس وليس تعبداً لله ، وتحقق فيه السهو البدني حين تركها بالكلية أو أخرجها عن وقتها أو قصَّر في أركانها وشروطها على الوجه المأمور به[٣]، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ** ﴾ [الماعون:٤-٦] .

ثانياً / بطلان أجر الإنفاق :

عظَّم الله شأن الإنفاق في سبيله وجعله قرضاً له _سبحانه_ يستلزم السداد متى كان خالصاً لوجهه بعيداً عن الرياء والتصنّع ، وقد حذر الله _تعالى_ عباده المؤمنين من كل ما من شأنه حَرْف هذه القُربة العظيمة عن وجهتها ومسارها الذي حدَّده لها من الانشغال بنظر المخلوقين ، والسعي لنيل الحظوة في نفوسهم ، أو انتظار جزاءهم أو شكورهم ، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً**﴾ [الإنسان:٩] .

وربطت الآيات القرءانية بين الإنفاق المتبوع بالمن والأذى وإنفاق من لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، وهو إنفاق المرائين وذلك في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ**

---

(١) انظر : تفسير السعدي ص١٨٩

(٢) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب ذكر العشاء والعتمة، ص ١٢٦.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥٥٤/٤)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة:٢٦٤] .

فالمؤمن الذي يتصدق طلباً للثواب ويعقب صدقته بالمن والأذى هو شبيه في ذلك تماماً للمنفق الكافر الذي لا يطلب من إنفاقه إلا الرياء والمدحة ، ووجه الشبه عدم الانتفاع بالصدقة[١]، فأصبحت هذه الطاعة الجليلة هباءً ومَحْقاً من الأجر والثواب ، وتساوت مع أعمال الكفار الذين لا يقصدون من وراء إنفاقهم وجه الله تعالى ، وإنما هو التصنع للمخلوقين .

كذلك ذم الله _تعالى_ إنفاق المرائين وأبطل ثوابه خاصة إذا جمع إلى ريائهم في الإنفاق ، صفة أخرى ذميمة اتصفوا بها هي البخل ، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِينا، وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً**﴾ [النساء:٣٧-٣٨] .

إذ إنَّ البخل مع إنفاق الرياء طرفا نقيض بين الإفراط والتفريط[٢] ، ويفسَّر الجمع بينهما أن إنفاق الرياء لا يتوخى مواقع الحاجة فقد يعطى الغنى ويمنع الفقير ، لذلك كان إنفاق المرائين ما لا تحصل به فائدة الإنفاق فاستوى مع البخل في الذم وسوء العاقبة[٣]

ثالثاً / بطلان أجر الجهاد :

اشترط الله _تعالى_ لقبول الجهاد أن يكون في سبيله ، وابتغاء مرضاته بأن يتحقق فيه شرط صحة النية والإخلاص له _سبحانه_ ، وحذر المجاهدين من الرياء والمفاخرة والتكبر ، فإن هذه الخصال المذمومة تبطل أجر الجهاد ، وتحرم من نعمة التأييد والنصر الذي لا يكون إلا من الله وحده ، قال تعالى: ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾[الأنفال:١٠] ، وقد سمَّى الله _تعالى_ القتال بذات الشوكة ؛ وذلك لما فيه من مشقة على النفوس في قوله تعالى: ﴿**وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ**﴾ [الأنفال:٧]، فيصبح الجهاد بقصد رياء الناس وطلب سمعة الجرأة والشجاعة عندهم من قبيل التعب الضائع ؛ بسبب فوات الأجر والمثوبة عند الله سبحانه وتعالى .

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، المجلد الثاني (٤٨/٣)

(٢) انظر: تنوير الأذهان للبروسوي (٣٣٨/١)

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ، المجلد الثاني (٥٣/٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك نهى الله _عز وجل_ المؤمنين الصادقين عن حذو سبيل الكفار والمشركين الذين انحصرت دوافع القتال عندهم في البطر، والرياء، وحب الصيت والشهرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ [الأنفال:٤٧] .

ويُفهم من الآية أنَّ عاقبة البطر والرياء في الجهاد هي الخذلان والذلة والهوان ، وفي هذا تذكير للمؤمنين[١]، إذا هم أرادوا من الله نصراً وتأييداً في جهادهم أن يجعلوا الإخلاص لله رائدهم ، وطلب مرضاته غايتهم بعد أن نزعوا من جهادهم حظوظ الدنيا من مراءاة للناس، أو انتظار أجورهم، وفي حديث النبيﷺ ما يبين أهمية إخلاص الجهاد ونزع داء الرياء منه، إذ كل جهاد صُرف لغيره _سبحانه_ مردود على أهله ، وذلك في الحديث: (جاء رجل إلى النبيﷺ فقال : الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذِكر، والرجل يقاتل ليُري مكانُه فمن في سبيل الله ؟ قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)[٢] .

كما بين النبي ﷺ حبوط أجر المجاهد وقارئ القرءان والمنفق إذا كان باعث كل منهم في عمله هو الرياء ، حين يسألهم الله _تعالى_ يوم القيامة عن أعمالهم ، فيظهر زيف نياتهم، وإنما قصدوا مدح الناس وثناءهم ، فترتب على ذلك الخسران المبين يوم القيامة[٣] .

والخلاصة أن الرياء ثوب مهلهل يشف عما تحته ، فمن اكتسى به كان في الحقيقة عارياً ، كما أن الطاعات إذا رحل منها الإخلاص لله _تعالى_ فإنما يستوطن بها خبث النية وسوء السريرة .

---

(١) انظر : تفسير الظلال لسيد قطب (٣ / ١٥٢٩) .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسيَر، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ،ح(٢٨١٠) ، ص٥٤٣.

(٣) الحديث بتمامه ورد مطوَّلاً في صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، ح (١٩٠٥) ، ص١٠٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

إيثار الحياة الدنيا

إنَّ أشد ما يفسد على الإنسان سريرته سوء تقديره للأمور ، ومن ذلك إيثاره للعاجل على الآجل ، فيؤثر الحياة الدنيا الزائلة على الآخرة الباقية ، ويعد هذا الإيثار رأس كل خطيئة ومنشأ كل آفة وبلية ، به حلَّ غضب الله على أناس خلوا، وبسببه انحرف كثير من الخلق وضلُّوا ، وما ذلك إلا لاستبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ . وستعرض الباحثة هذه الآفة، لتبين مدى خطرها في إفساد السرائر.

المطلب الأول

التعريف بالدنيا

الدنيا مشتقة من الفعل (دنا) بمعنى قَرُب ، والدنوّ مصدر دنا يدنو فهو داني ، وسميت الدنيا لدنوها ؛ ولأنها دنت وتأخرت الآخرة ، والدنيا نقيض الآخرة ، وجمعها دُنى ، وهي اسم لهذه الحياة لبُعد الآخرة عنها[١] .

ويطلق مسمى الحياة الدنيا على هذه الأرض البسيطة التي جُعلت قراراً للخلق ، تخرج منها أقواتهم ويُدفن فيها موتاهم[٢] ، وهي أعيان موجودة جعل الله للناس فيها حظاً ؛ ليبلوهم أيهم أحسن عملاً .

ويمكن تقدير الحياة الدنيا للإنسان بتأمل أحواله الثلاثة[٣] :

الحالة الأولى / وهي التي لم يكن الإنسان فيها شيئاً مذكوراً ، قال تعالى: **﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾** [الإنسان:١] .

الحالة الثانية / وهي من ساعة الموت إلى ما لا نهاية في البقاء السرمدي والخلود الدائم .

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (١٤ / ٢٧٢)، مادة (دنا) .

(٢) انظر صيد الخاطر لابن الجوزي ص٢٧ .

(٣) انظر : مختصر منهاج القاصدين للإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ص١٩٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحالة الثالثة / وهي ما بين تلك الحالتين من أيام الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾ [البقرة:٣٦] .

ولا شك أنَّ نسبة الحياة الدنيا إلى حياة الأزل وحياة الأبد أقل من طرفة عين، وهذا ما بينه النبي ﷺ في قوله: (ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم ، فلينظر بم ترجع)[١].

المطلب الثاني

ذم إيثار الحياة الدنيا

إنَّ المراد بالذم هنا هو ليس عين الحياة الدنيا ، إذ هي مزرعة الآخرة وقنطرة العمل ، وإنَّ ما بها من أعيان إنما فيها مواضع المصلحة للناس[٢] ، والمقصود بالذم هو فعل الآدمي حين يشغله زرعها وتحبسه قنطرتها عن مواصلة سيره إلى دار المقامة ، فلا يتزود لها بزادها ولا يعدّ لها عدتها ، وإنما اللبيب الذي اغتنم زرع الدنيا لحصاد الآخرة ، واستغل زمن الإمكان ليوم ليس للإنسان فيه إلا ما سعى .

وقد جاء ذم إيثار الحياة الدنيا على الآخرة في القرءان الكريم على أوجه متنوعة ، منها ما كان بضرب المثل كقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ**﴾[يونس:٢٤]، ومنها ما كان ببيان عيبها كقوله سبحانه: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، أو بالتزهيد فيها والترغيب في الآخرة، كقوله سبحانه: ﴿ **وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [الزخرف:٣٥]، وفيما يلي تفصيل ذلك:

أولاً / بيَّن القرءان الكريم ما يؤول إليه تفضيل الدنيا على الآخرة من فوت النجاة وسوء العاقبة ، وحبوط الأعمال وبطلانها ، وتخصيص النصيب في الآخرة بأنه النار، كما في قوله تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [هود:١٥-١٦] .

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب فناء الدنيا وبيان الحشر، ح(٢٨٥٨)، ص١٤٨٤.

(٢) انظر : مختصر منهاج القاصدين ص١٩٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فواضح من الآية أنَّ الله _تعالى_ يوفِّ لمؤثر الدنيا نصيبه فيها غير منقوص ، إذ ليس له نصيب سواه ، ثم يختم له في الآخرة بسوء العاقبة وحبوط الأعمال ، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى:٢٠]، وفي هذا وعد لمؤثر الآخرة بالزيادة في الحرث، ووعد مؤثر الدنيا بإتيانه منها دون ذكر للزيادة، مضافاً إلى ذلك انتفاء نصيبه من الآخرة، وإلى هذا المعنى أشار قوله تعالى: ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً** ﴾ [الإسراء:١٨-١٩] .

فهذه الآيات تؤكد أنَّ مَنْ كانت الدنيا مراده، ولها يعمل في غاية سعيه، لم يكن له في الآخرة مِنْ نصيب، ومَنْ كانت الآخرة مراده ولها عَمِل وهي غاية سعيه فهي له[1] ، كذلك بين الله _تعالى_ ما يَلحق مُؤثِري الدنيا من سوء عاقبة متمثلة في الطبع على القلب والسمع والأبصار، ووصفهم بالغفلة والخسران، كما في قوله تعالى: ﴿**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ [النحل:١٠٦-١٠٨]، حيث ارتدوا على أدبارهم طمعاً في شيء من متاع الدنيا ورغبةً فيه وإيثاره على خير الآخرة، فلذلك منعهم الله هدايته وأُغلِقت قلوبهم عن تقبل الخير[2].

من هنا كان المأوى الذي يستحقه مُؤْثر الدنيا على الآخرة هو ما بيَّنَهُ _تعالى_ في قوله: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ طَغَى، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾ [النازعات:٣٧-٣٩] .

كما بيَّنت الآيات القرءانية ما لحِق باليهود من الخزي في الحياة الدنيا ووعيد الله لهم بعدم تخفيف العذاب، ومنعهم من النصر ؛ كل ذلك بسبب شرائهم الحياة الدنيا بالآخرة وفي هذا عبرة لأهل الإيمان، إذ إنَّ أخبار أهل الكتاب وما ساقه الله _تعالى_ من بيان سوء عاقبتهم على ما عملوا من أعمال فيها تعليم لكل مؤمن معتبِر من مصائر الآخرين ، قال _تعالى_ في شأن اليهود: ﴿**ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا**

---

(١) انظر : عدَّة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم ص١٧٥ .

(٢) انظر : تفسير السعدي ص٤٢٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ [البقرة:٨٥-٨٦] .

ثانياً / أخبر الله _تعالى_ عن حقيقة الدنيا وزينتها، وبينَّ أنها متعة لمن لا نصيب له في الآخرة وأن الدار الآخرة جعلها للمتقين فقال تعالى: **﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾** [طه:١٣١] ، وقال تعالى: **﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾**[الأحقاف:٢٠] .

ثالثاً / ذم الله _تعالى_ مُتَمنِّي الدنيا ومُؤثرها على الآخرة ومدح من أنكر عليه وخالفه، قال تعالى: **﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾** [القصص:٧٩-٨٠] .

رابعاً / ثبت وعيد الله _تعالى_ وذمه للالتهاء والمكاثرة بجميع أسباب الحياة الدنيا على اختلاف أجناسها وأنواعها، فقال تعالى: **﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾**[التكاثر:١-٢]، لأنَّ هذه المكاثرة لأهل الدنيا سبب الانشغال والالتهاء عن مكاثرة أهل الآخرة ، والمؤمن حريص بهمَّتِهِ العالية على المكاثرة بما يدوم عليه نفعه ، وهو التسابق لرضا الله تعالى، أما المكاثرة بالمتاع الزائل فهي لا تلبث أن تنتهي إلى القلة والبوار[١] .

خامساً / إخباره _تعالى_ عن فنائها وسرعة انقضائها ، وأنه إذا عاين العبد الآخرة، فكأنه لبث فيها ساعة من نهار، قال تعالى: **﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾** [الأحقاف:٣٥]، ونهى _سبحانه_ عباده أن يغترُّوا بها، وأخبرهم أنها لهو ولعب وزينة وتفاخر وتكاثر ومتاع غرور ، وطريق ومعبر إلى الآخرة وأنها عرض عاجل لا بقاء له، ولم يَذْكُر مُريدها بخيرٍ قط، بل حيث ذَكَرَه ذَمَّه[٢]، قال تعالى: **﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾** [الأنفال:٦٧] .

---

(١) انظر : عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم ص٢٠١ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص٢٠٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادساً / مثَّل الله _تعالى_ الدنيا لعباده بأمثلة تدعو كل لبيب عاقل إلى الامتناع المطلق عن إيثارها على الآخرة، وقد صوَّر الله حقيقتها في القرءان بما ضربه لها من الأمثال، كقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [يونس:٢٤]، إذ بين هذا المثال لمن يتفكر أنَّ كل زينة وزخرف في الدنيا لا يمكن أن يُؤْثَر على زينة الآخرة ، وذلك لأن زينة الدنيا تزول في الوقت الذي يظنّ أهلها أن مقامهم فيها سيطول ، وفي هذا أعظم العبرة لأولي الألباب .

وقد أخبر الله _تعالى_ أن بسط الدنيا فتنة ، وأنه سبب الطغيان والفساد في الأرض ، وأن إمداد أهلها بها ليس مسارعة لهم في الخيرات ، قال تعالى: **﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ، نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ ﴾** [المؤمنون:٥٥-٥٦]، وفي المقابل فإن منع الخيرات عن أهل الإيمان ليس بالضرورة دلالة البعد والمقت من الله، فإن الله _تعالى_ يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، ولكنه لا يعطي الآخرة إلا لمن يحب[١] .

يقول ابن القيم: "إن الميل إلى الدنيا وإيثارها على الآخرة هو الذي عمَّر النار بأهلها ، وإن السُكرَ بحبها أشد من السُكر بالخمر ؛ لأن الأول لا يفيق إلا في ظلمة اللحدِ"[٢] .

ويقول كذلك: "إنَّ مُؤْثر الدنيا على الآخرة من أَسفَهِ الخلق وأقلهم عقلاً ، إذ آثر الخيال على الحقيقة ، والمنام على اليقظة ، والظل الزائل على النعيم الدائم ، والدار الفانية على الدار الباقية ، وباع حياة الأبد في أرغد عيش بحياةٍ إنما هي أحلامُ نومٍ ، أو كظلٍ زائلٍ "[٣] .

ولو تبصر الدنيا وراء ستورها ... رأيت خيالاً في منام سَيُصـــرمُ .

وظِلّ أَرَتْهُ الشمس عند طلوعها ... سَيَقْلُصُ في وقت الزَوال ويُقصمُ[٤] .

---

(١) انظر : عدة الصابرين لابن القيم ص٢١٠ .

(٢) المرجع السابق ص٢٢٦ ، بتصرف .

(٣) المرجع السابق ص٢٣١ ، بتصرف .

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ص٦٤ ، والبيتان له رحمه الله .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

أسباب إيثار الحياة الدنيا

عرض القرءان الكريم البواعث الحقيقية التي تدفع نحو إيثار الحياة الدنيا ، وبيَّن الأسباب التي يمتنع معها العمل لدار البقاء، أو تضعف معها الدواعي المُذَكِّرَة بزوال الدنيا، ومن هذه الأسباب:

أولاً / الكفر: ذلك أن الكافر لا يؤمن بالآخرة التي هي محل الثواب والعقاب ، بل مبلغ علمه وأكبر همه هو الدنيا ، قال تعالى : ﴿ **فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى**﴾[النجم:٢٩-٣٠] ، وهؤلاء الكفار قصروا مفهوم الحياة عندهم على الدنيا فقط ، ونسبوا هلاكهم إلى الدهر ، فقال فيهم الله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾[الجاثية:٢٤].

ثانياً / طلب المغنم: وهذا يقع في حق المؤمن ؛ بسبب عارض تضعف معه نفسه ثم لا يلبث هذا العارض أن يزول بزوال سببه ، ومن ذلك ما تحدَّث به القرءان عن المؤمنين في غزوة أحد لما طمع فريق منهم في المغنم، ونسوا ما وصاهم به النبي ﷺ من لزوم أماكنهم، فقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران:١٥٢] .

ويجدر البيان هنا أن إرادة الدنيا المذكورة في الآية في حق المؤمنين إنما كانت صورة للضعف البشري الذي لم تصاحبه نية سيئة أو إصرار على الخطيئة[1] ؛ لذلك عقَّب على إرادة فريق منهم للدنيا بالعفو والتذكير بفضل الله _تعالى_ على المؤمنين .

ثالثاً / الانبهار بثروة وزينة الأغنياء: ومثال ذلك ما أخبر به القرءان عن انقسام الناس إزاء ثروة قارون إلى قسمين: قسم تَمنَّوا حصول هذه الثروة لهم بعد أن انبهروا بها وقد وصفهم الله _تعالى_ بالذين يريدون الحياة الدنيا ، وقسم وصفهم الله _تعالى_ بالذين أوتوا العلم، الذين أيقنوا بأن ثواب الله خير من المتاع الزائل، قال تعالى: ﴿ **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ**

---

(١) انظر : تفسير الظلال لسيد قطب (١ / ٤٩٤) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص : ٧٩-٨٠] .

ويستفاد من الآية أن العلم الديني والهدى وقايةٌ وجُنَّةٌ من داء إيثار الدنيا وأن الجهل الديني من أقوى الأسباب التي تدفع بالنفوس إلى طلب المتاع العاجل دون الآجِل.

رابعاً / الالتهاء بالمكاثرة المذمومة: إن مكاثرة الناس بعضهم لبعض تكون محمودة إذا كانت في مرضاة الله ونصرة دينه ، كالمكاثرة في العلم والعمل الصالح ، وهذه هي حقيقة المنافسة واستباق الخيرات **﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾** ، أما إذا أدَّت المكاثرة إلى الالتهاء والانشغال عما خلق الله الناس لأجله ، فكاثر بعضهم بعضاً في متاع الحياة الدنيا من مال وجاه وغيره ، فهذه هي التي ذمها الله _تعالى_ في قوله : **﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾**[التكاثر:١-٢] .

وقد بين الله –تعالى- في هذه السورة أن هذه المكاثرة التي أدَّت بصاحبها لإيثار الدنيا على الآخرة هي بضاعة المفلس ؛ ذلك لأنها تنتهي بالإنسان إلى الموت الذي عبَّر عنه القرءان بأنه مجرد زيارة في قوله تعالى: **﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِ﴾**، وفي هذا بيان لمن خيِّر بين متاع الدنيا والآخرة، أنَّ هذا الموت ليس نهاية المطاف، وإنما هو حلقة في طريق الوصول إلى الآخرة ذات النعيم الدائم(١).

ويدخل في مفهوم المكاثرة الانشغال بالمتاع الزائل من مال أو ولد عندما يكون هذا المتاع ملهياً عن ذكر الله ، كما في قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾**[المنافقون:٩] ، ولا شك أن وجه الخسارة المذكور في الآية يكون بإيثار ما يفنى على ما يبقى(٢) .

خامساً / تسلط الهوى والشهوات وقصر الهمَّة عليهما : إنَّ اقتصار همة الإنسان على تحقيق شهوات نفسه ليُقْعِدُه عن طلب الآخرة ، فيصبح أسيراً في طلب الدنيا ، ذلك أن اتباع الهوى سبب إضعاف العزيمة ووهنها ، وهذه العزيمة هي المركب الذي يسير المرء به إلى الله والدار الآخرة ، فإن تعطل المركب بسبب إصابته بداء العكوف على الدنيا ، وقصر الهمة عليها دون الآخرة،

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٦٢٧/٤) والتحرير والتنوير لابن عاشور، المجلد الثاني عشر(٣٠/ ٥٢٢).

(٢) انظر : تفسير السعدي ص٨٢٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انقطع السفر وهلك الإنسان في بيداء الحرص على ما لا يدوم[1] ، قال تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ [آل عمران:١٤] .

وقد نظر أهل العلم إلى الشهوات المذكورة في الآية السابقة نظرة فريدة تستوجب الوقوف عندها وتأملها، وترى الباحثة صدق هذه النظرة ، وانطباقها على الحقيقة ، وتتلخص نظرتهم فيما يلي :

إذا كان أول ما زُيِّنَ للناس من الشهوات في هذه الدنيا هي النساء، فإنهنَّ ما عِبْنَ بأحسن[2] من قوله تعالى: ﴿ **وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ**﴾ [البقرة:٢٥]، وإذا كان أفضل ما أُكل فيها هو العسل، فإنما هو مذقة نحلة، وإذا كان أفضل ما شُرِب فيها هو اللبن، فإنما هو يخرج من بين فرث ودم، وإذا كان أفضل ما لُبِسَ فيها هو الحرير، فإنما هو من نسج دودة، وإذا كان أفضل ما شُمَّ فيها هو المسك، فإنما هو في حقيقته دم[3] .

---

(١) انظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم ص٣٤٤ .

(٢) انظر : صيد الخاطر لابن الجوزي ص٣١٣ .

(٣) انظر : إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (٣ / ٢١١) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

أعمال السريرة بين التخلية والتحلية

- المبحث الأول : التخلية .
- المبحث الثاني : التحلية.
- المبحث الثالث : حقائق قرآنية عن أعمال السرائر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

التخلية

المراد بالتخلية في هذا المبحث ذكر بعض خصال ينبغي أن تحذرها الأنفس ،وتحرص كل الحرص على الابتعاد عنها ،وذلك لعظيم خطرها ،ووبيل أثرها ،وسوء مردّها ،فهي آفات خفية قد يستهين بها الكثير من الناس ،وقد يغفل عنها المؤمن فضلا عن غيره ،لذا كانت معرفتها من قبيل معرفة الشئ بضده، والنقيض بنقيضه ،إذ لاتشفى الأجسام إلا بمعرفة الأسقام .

المطلب الأول

الكِبْرُ

إن السبيل إلى سلامة السرائر لا يتم إلا بالتخلص من العوائق ، ومن أكبر هذه العوائق الكبر فهو سالب الفضائل ومكسب الرذائل، وهو الدافع وراء المقت، والملهي عن التآلف، وقد ذمه الله تعالى في كثير من الآيات القرآنية كما في قوله سبحانه: ﴿ ....**إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ** ﴾ [النحل:٢٣] وفيما يلي بيان لهذا العائق:

أولا: الكبر لغةً واصطلاحاً:

الكبر لغةً: مشتق من مادة (كَبُرَ) بمعنى عَظُمَ وجَسُمَ ،والكبر معظم الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿ ...**وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ**...﴾ [النور:١١]

والكبر: الإثم الكبير والتجبر ومنه الفعل تَكَبَّر واستكبر وتكابر كبرياء[١]

والكبر اصطلاحاً: خلق باطن يتم فيه رؤية النفس على المتكبر عليه فيرى نفسه فوق غيره في صفات الكمال [٢].

---

(١) انظر: القاموس المحيط ص٤٢٢ مادة (كبر).

(٢) انظر: مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي ص ٢٢٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد عرّفه النبيﷺ في الحديث: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، قال إن الله جميل يحب الجمال،الكبر بطر الحق وغمط الناس)[١] فالنبي ﷺ بين في الحديث أنّ الكبر هو دفع الحق وإنكاره ترفعا وتجبرا واحتقارا للناس[٢].

ويتميز الكبر عن العجب بأن الأخير لا يستدعي غير المعجب فقد يكون الإنسان معجبا حتى لو قدر أنه مخلوق لوحده،ولا يتصور أن يكون متكبراً إلا أن يكون معه غيره وهو يرى نفسه فوقه [٣].

ويعد الكبر آفة عظيمة، وحجاباً دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين فصاحبه لا يقدر أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، فلا يقدر على التواضع ،ولا على ترك الحقد والحسد والغضب، ولا على كظم الغيظ وقبول النصح، ولا يسلم من الازدراء بالناس واغتيابهم فما من خلق ذميم إلا وهو مضطر إليه[٤] .

وقد فرّق العلماء بين الكبر والمهابة وبينه وبين الصيانة، ذلك أن المهابة أثر من آثار امتلاء القلب بعظمة الله ومحبته وإجلاله، فإذا امتلأ القلب بذلك حل فيه النور ونزلت عليه السكينة وأُلبس رداء الهيبة، أما الصيانة فهي التوقي من مواطن السوء والعطب، وكل من المهابة والصيانة أمرٍ بعيد كل البعد عن الكبر إذ إنه أثر من أثار العجب والبغي يحصل بالترفع عن الناس احتقاراً لهم فلا يزداد من الله إلا بعداً ولا يزداد من الناس إلا بغضا [٥] .

ثانيا: أمثلة قرآنية على الكبر:

بينت الآيات القرآنية صوراً متنوعة من الاستكبار تحذيراً للمؤمنين من هذه الآفة وتخليصاً للصدور مما يعكر صفوها ونقائها ،وإخلاصا للضمائر في توجهها إلى الله تعالى، ومن هذه الأمثلة التي ساقها القرآن الكريم استكبار إبليس، **قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾** [لأعراف:١٢]، وقوله تعالى: **﴿وَإِذ قُلنَا للملائكة اسجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إِبلِيسَ أَبَى وَاستَكبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ﴾**[البقرة :٣٤]

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان ،باب تحريم الكبر وبيانه(٦٥).

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٣٣٤/١).

(٣) انظر :المرجع السابق نفس الصفحة .

(٤) انظر : مختصر منهاج القاصدين لابن قدامه المقدسي ص٢٢٨.

(٥) انظر: الروح لابن قيم الجوزية ص٣١٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أشارت الآية الكريمة بوضوح إلى أنّ إبليس صار كافراً بعدم السجود، لأن امتناعه نشأ عن استكباره على الله واعتقاده أن ما أمر به غير جارٍ على حق الحكمة، وفي هذا الموقف استخفاف من إبليس بحكمة الله تعالى، فلذلك صار به كافراً صراحاً [1]، مما يدلل على أن الكبر هو أحد أركان الكفر[2] .

كما أخبر القرآن الكريم عن دوافع الكبر الذي استكبره إبليس،لمّا أَمَرَه الله- تعالى- بالسجود لآدم وذلك في قوله تعالى: **﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلا تَسجُدَ إذا أَمَرتُكَ قَالَ أَنَا خَيرٌ مِنهُ خَلَقتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقتَهُ مِن طِينٍ﴾** [الأعراف:١٢] .فإنّ الله- تعالى- لمّا أَمَرَه بالسجود لآدم كان في امتثال أمْره سعادته وفلاحه ونجاته، إلا أنْ سولت له نفسه المستكبرة أنّ في سجوده لآدم غضاضة عليه، وهضماً لنفسه إذْ يخضع ويقع ساجداً لمن خُلق من طين وهو من نار، والنار بزعمه أشرف من الطين، فلما قام به هذا الكِبْر أبى أمر الله –تعالى- وعارَض النص بالعقل، وأعرض عن النص الصريح وقابله بالرأي الفاسد القبيح، ثم أردف ذلك بالاعتراض على العليم الحكيم الذي لا تجد العقول إلى الاعتراض على حكمته سبيلا، فقال: **﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾** [الإسراء:٦٢].

وقد قرر إبليس حجته الداحضة، بتفضيل مادة خلقه وأصله على مادة آدم عليه السلام فاستكبر بما ليس هو سبيل للكِبر، فجمع بين الجهل والظلم والكبر والحسد والمعصية، فأهان نفسه كل الإهانة من حيث أراد تعظيمها، ووضعها من حيث أراد رفعتها ،وأذلها من حيث أراد عزتها، وآلمها كل الألم من حيث أراد لذتها[3] .

والآيات الكريمة التي تناولت هذا الموقف، أفادت أنّ كفر إبليس كان كفر استكبار مع التصديق، فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، وهذا الغالب على كفر أعداء الرسل[4].

كذلك عرضت الآيات القرآنية أخبار المستكبرين، في مواجهة دعوة الرسل فمِنْ هؤلاء مَنْ استكبر هو وجنوده حتى نسب لنفسه الألوهية، قال تعالى حكاية عن فرعون: **﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي**

---

(١) انظر التحرير والتنوير المجلد الأول (٤٢٦/١).

(٢) انظر الفوائد لابن القيم ص١٨٢.

(٣) انظر إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (٢٠٠/٢).

(٤) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم (٢٦٢/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [القصص:٣٨] وأيضا قال تعالى: **﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ﴾** [القصص:٣٩].

فالآيات أشارت إلى ما كان عليه فرعون مِنْ كِبْر، استخفَّ به عقول الملأ مِنْ قومه فأطاعوه، فكانت النتيجة اشتراكهم جميعاً في الاستكبار علي عباد الله وعلى رسل الله وما جاءوهم به من آيات[١].

كذلك بينت الآيات القرآنية حجة فرعون الواهية وراء استكباره فقال تعالى: **﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾** [المؤمنون :٤٥-٤٧] .

فكانت حجة فرعون وملأه في استكبارهم على الإيمان بالله، واستكبارهم على أنبيائه هي تفاخرهم وعلوهم في الباطل، وتفضيل أنفسهم على من دعاهم إلى الحق، فاستحقوا بذلك عذاب الله- تعالى- لَمَّا منعهم كبرهم مِنْ الانتفاع بآياته- سبحانه- فأصبحت لا تؤثر فيهم، قال تعالى: **﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾** [الأعراف:١٤٦]، فقد انقلبت عليهم الحقائق بسبب كبرهم فاستقبحوا الحسن واستحسنوا القبيح[٢]. ومن صور الاستكبار التي بينها القرآن الكريم، ما كان في مواجهة دعوة الرسل، ومثال ذلك ما ورد[٣] في شأن الوليد بن المغيرة[٤] في قوله تعالى: **﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾** [المدثر:١٨-٢٤]

فأوضحت الآيات أن من نزلت الآية في شأنه قد استكبر عن الإيمان بعد إعمال للعقل وتفكير وتقدير فكان كبره هو الدافع لعناده وتنكره للحق فاستحق من الله سوء العاقبة .

---

(١) انظر: تفسير السعدي ص٥٩١.

(٢) انظر المرجع السابق ص٢٨٢.

(٣) انظر: لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص٤٧٩.

(٤) الوليد بن المغيرة: هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم من قضاة العرب في الجاهلية، أدرك الإسلام فعاداه، مات كافراً بعد الهجرة بثلاثة أشهر انظر ترجمته بالكامل في التاريخ للإمام محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد لشيباني بن الأثير الجزري (٥٩٢/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ليس هذا فحسب، بل ذهب الكبر بأهله كل مذهب، حين خالفت رسالة الرسل وشريعة الله ما تهوي أنفسهم من الباطل، فزعموا أن قلوبهم مغطاة بما يمنعها من الفقه والاعتبار، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ، وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [البقرة :٨٧-٨٨] .

كما بيَن الله -تعالى- الارتباط الوثيق بين الكبر و بين إنكار الآخرة ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ**﴾ [النحل :٢٢] إذ إن استكبار هؤلاء الكافرين، صدهم عن الإذعان والتسليم، فالقلب المستكبر لا يرجى له أن يقتنع أو يسلم، ومن ثم كان أهل الكبر مكروهين من الله تعالى[١].

ومن الأمثلة التي ساقها القرآن على الكبر، ما كان من المشركين حين طلبوا مقابل إيمانهم وتصديقهم أن تنزل عليهم الملائكة، أو يروا ربهم، فقال تعالى مبيناً ذلك: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيرا**﴾ [الفرقان :٢١] وفي هذا دلالة على أنهم أضمروا في أنفسهم الاستكبار عن الحق وأنهم لم يجسروا على قولهم السابق إلا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو[٢] .

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً* اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السيئ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السيئُ إِلا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلا سُنَّتَ الأَولِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحوِيلا**﴾ [فاطر:٤٢-٤٣] .

فقد بينت هذه الآية أن قسم الكفار الذي أقسموه، ليس لقصد حسن وطلب للحق، ولكنه صادر عن استكبار في الأرض على الحق وعلى الخلق، فلم يبق لهم إلا انتظار ما يحل بهم من العذاب، الذي هو سنة الله في الأولين، والتي قضت بأنّ كل مَنْ سار في درب الاستكبار، كان مستوجباً لأن يحيق به غضب الجبار[٣].

كما أخبر الله- تعالى- أنّ مِنَ الكبر المجادلة في آياته- سبحانه-- بغير سلطان أو حجة، وإنما فقط إرادة الاستعلاء بالباطل، والتي منشأها والباعث عليها هو كبر الصدور قال تعالى: ﴿ **إِنَّ**

---

(١) انظر: تفسير الظلال لسيد قطب (٢١٦٧/٤).

(٢) انظر تفسير الكشاف للزمخشري (٣٢٣/٣).

(٣) انظر: تفسير السعدي (٦٦٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر :٥٦] .

كذلك جعل الله -تعالى- الكبر صفة أصيلة من صفات المنافقين، أظهرت مدى إعراضهم عن الحق واستكبارهم عليهم، قال -تعالى- في شأن المنافقين: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾** [المنافقون:٥] .

* ومن الأمثلة التي ساقها الله –تعالى- على الكبر ما كان من استكبار قوم نوح عليه السلام ومثلهم قوم عاد فقد أخبر الله –تعالى- عن قوم نوح أنهم أصروا على الضلال واستكبروا عن الاستجابة لصوت الحق والهدى[1] قال- تعالى -عن نوح عليه السلام مع قومه: **﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً﴾** [نوح :٧] .

فقد أشارت الآية الكريمة إلى صورة الاستكبار المنفِّرة، متمثلة في استغشاء الثياب، وتغليق الآذان في مواجهة الدعوة إلى الله . وقد جاء مثال ذلك في ما أخبر الله تعالى به عن قوم عاد في قوله عز وجل:**﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾** [فصلت:١٥].

فهؤلاء استكبروا وتعظَموا بما لا يستحقون به التعظم والاستكبار[2] حتى بلغ بهم الأمر أن اعتقدوا أن لا أحد يفوقهم قوة وهذا يبين شدة الكبر والغرور. كذلك أخبر القرآن الكريم عن الاستكبار عند سماع آيات الله سبحانه، وهذا يكشف عن طبيعة تلك النفوس الجاحدة إذ إن الله -تعالى- بيَن في كتابه الكريم أن الآيات المتلوة هي سبب اطمئنان القلوب قال تعالى: **﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾** [الرعد :٢٨] .

إلا أن هؤلاء المستكبرين عند سماع القرآن وما فيه من الحجج والبينات فإنهم يصرون على الكفر والجحود والاستكبار والعناد[3] قال تعالى: **﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ، يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** [الجاثية٧-٨] وقد بين الله تعالى أن هذا الاستكبار قد أدى بأهله إلى السخرية بكتاب الله وآياته فاستحقوا على ذلك العذاب المهين قال تعالى: **﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾** [الجاثية:٩].

---

(١) انظر: تفسير الظلال لسيد قطب (٣٧١٢/٦).

(٢) انظر: تفسير الكشاف للزمخشري (١٠٨/٤).

(٣) انظر:تفسير ابن كثير(١٤٨/٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

*ومن صور الاستكبار التي عرضها القرآن الكريم صورة تكاد تتكرر على مدى الزمان وهي الاستكبار عند (لا إله إلا الله) وهي شهادة التوحيد الخالص، قال تعالى عن الكافرين: **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾** [الصافات :٣٥].

وترى الباحثة أنّ هذا الاستكبار يأخذ أشكالاً متعددة، فالكفار زمن النبي ﷺ استكبروا أن يتقبلوا (لا إله إلا الله) من رجل مثلهم، زاعمين أنه شاعر وأنهم لا يتركون آلهتهم لقوله ،قال تعالى: **﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾** [الصافات:٣٦].

وصور الاستكبار بعد زمن النبي ﷺ تتمثل في كل منهج قُدِّم على منهج الله- تعالى- وشريعته التي ارتضاها للعباد، وقس على ذلك كل ما استكبرت به النفوس الغافلة، وآثرته من مناهج زائفة ممتدة على أطراف البشرية المترامية .

وفي مقابل ما تقدم من صور الكبر التي عرضها القرآن الكريم، بيّن الله- تعالى- أنّ أهل الإيمان الصادق هم أهل الخضوع لله فهم لا يستكبرون لا بقلوبهم ولا بأبدانهم، متواضعون قد تلقوا الآيات بالقبول، وقابلوها بالانشراح والتسليم، وتوصلوا بها إلى مرضاة الرب الرحيم[١] .

ثالثاً: حوار المستكبرين والمستضعفين :

عرض القرآن الكريم مواقف محاورة وجدال بين فريقين من الناس، فريق مستكبر تسلح بالباطل، وفريق مستضعف جعل الحق له قوة وسنداً، وقد جاء هذا الحوار في خمسة مواضع في القرآن الكريم، ثلاثة منها تتحدث عن حوار يكون يوم القيامة، واثنان تحدثا عن حوار حدث بين المستكبرين والمستضعفين من أقوام أنبياء الله تعالى: صالح وشعيب- عليهما السلام-قال- تعالى- عن قوم صالح عليه السلام: **﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾** [الأعراف:٧٥-٧٦] .

وقال - تعالى- عن قوم شعيب عليه السلام: **﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾** [الأعراف:٨٨].

---

(١) انظر: تفسير السعدي ص٦٢٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد أظهرت الآيات المتقدمة طبائع نفوس مستكبرة قد مُلئت بالغرور، ورأت أنها أعلى من غيرها، فأبت أن تستوي معها في الإيمان بالله، كما أظهرت أسلوب التجبر والتسلط والتهديد، في دلالة واضحة على الإفلاس الفكري في مقابل منهج الحق الواضح .

وفي مقابل استكبار المستكبرين بدا يقين النفوس المؤمنة التي رأت الطريق إلى الإيمان منسجماً مع ميل سرائرها إلى ما جُبلت عليه من الحق قال تعالى عن حال هؤلاء: ﴿ **قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**﴾ [الأعراف:٨٩].

أما حوار المستكبرين والمستضعفين يوم القيامة فيعرضه القرآن عرضاً مميزاً، يُظهر مرارة ما كان من كبر في الحياة الدنيا، وهوان مَن اتبع المستكبرين وقلدهم ،قال تعالى: ﴿**وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ** ﴾ [ابراهيم :٢١].

كما يظهر يوم القيامة مراجعة الفريقين لبعضهما البعض، ويلقي كل فريق باللائمة على الآخر في الإضلال والغواية، في مشهد يُبيّن تنصل كل منهما وأنه لا يغني عنه ذلك من العذاب شيئاً، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ، وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً** ﴾ [سبأ:٣١-٣٣].

رابعاً:عواقب الكبر :

* أخبر الله –تعالى- عن سوء العاقبة التي جعلها على الكِبْر، وبيَّن – سبحانه- شدة العذاب التي تنتظر المستكبرين على الحق الجاحدين له، ومن هذا العذاب ما كان في الدنيا، ومنه ما كان في الآخرة ،أما عذاب الدنيا فعرضه القرآن ممثلاً في الطبع على القلوب وصرفها عن الاعتبار ، وعدم الانتفاع برؤية الآيات، وإغلاق تربة القلوب عن تلقي بذور الخير، وذلك لامتلائها بالكبر الصارف عن حقيقة الاعتبار ، قال تعالى ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراف:١٤٦]. وقوله سبحانه: **﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾** [غافر:٣٥].

*كذلك بيّن -سبحانه وتعالى- أنّ الكبر سبب لإغلاق أبواب السماء، وهذا الإغلاق لأبواب السماء أمام المستكبرين عن آيات الله البينات، يدخل فيه معاني عدة فيشمل عدم استجابة الدعاء، وعدم قبول الأعمال والعبادات ، وحرمان أرواحهم بعد الموت مشاهدة مناظر الجنة، ومقاعد المؤمنين منها ،وهذا يفيد حرمان المستكبرين من الخيرات الإلهية المحضة[١].

أما العذاب الأخروي الذي جعله الله –تعالى- جزاءاً وفاقاً على كبر المستكبرين فهو ما جاء في تذييل كثير من الآيات الكريمة بقوله تعالى: **﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾** [الزمر:٦٠].

المطلب الثاني

حب المدح مع ترك الفعل

*لا يجتمع نقاء السريرة ومحبة المدح والثناء والطمع في ما عند الناس فحسب، إلا كما تجتمع الأضداد ، فإنّ الطريق إلى نقاء الطوايا يلزمه قطع دابر الطمع، ثم الزهد في المدح والثناء، والذي يسهّل إزالة الطمع ويمكّن من الزهد في الثناء والمدح هو العلم اليقيني بأنّ كل ما يُطمع فيه هو بيد الله خزائنه لا يملكها غيره، ولا يُؤتى العبد منها شيئاً سواه –سبحانه- وأما الزهد في الثناء والمدح، فيسهله العلم بأنّ ليس أحد ينفع مدحُه ويَزين، ويَضرُّ ذَمّه ويُشين، إلا الله وحده، وفي ذلك أعظم الدوافع للنفوس لأنْ ترغبَ في مَدح مَن كُلّ الزّين في مُدحِه وكلّ الشّين في ذَمِّه ولنْ يقدر على ذلك المقام الرفيع إلا صاحب صبر ويقين وسلامة نية[٢].

*وقد أكد القرآن الكريم هذه المعاني الدقيقة في قوله تعالى: **﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾** [آل عمران:١٨٨].

---

(١) انظر: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور. المجلد الرابع(١٢٦/٨)

(٢) انظر: الفوائد لابن القيم ص١٧٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذه الآية وإنْ كانت قد نزلت في المنافقين أو اليهود[١] إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والحكم فيها ينسحب على كل جماعة اقتاتت على الادعاء الباطل والظاهر المخالف للباطن[٢] وشراء مدح الناس بغضب الله تعالى .

المطلب الثالث

كتم الشهادة

ذم الله تعالى كتم الشهادة وعاب على أهل الكتاب كتمانهم الحق وهم يعلمون وتوعدهم على ذلك بالعذاب الشديد، وقد جاء ذكر كتمانهم لشهادة الحق في كثير من الآيات قال تعالى: **﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾** [البقرة:٤٢] .

وقال سبحانه: **﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾** [البقرة:١٤٠]

فهذه الشهادة مودعة من الله لا من الخلق فيقتضي الاهتمام بها وبإقامتها إلا أن أهل الكتاب كتموها وأظهروا ضدها فجمعوا بين كَتم الحق وعدم النطق به وإظهار الباطل والدعوة إليه فاستحقوا على ذلك الظلم الوعيد الشديد من الله تعالى[٣].

وقد جعل الله تعالى كتم الشهادة دلالة إثم القلب الذي هو ملك الأعضاء، قال تعالى: **﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُه﴾** [البقرة:٢٨٣].

فنسب -سبحانه- الإثم لهذا العضو من بين سائر الأعضاء، تنسيقا بين الإضمار للإثم والكتمان للشهادة ، إذ كل منها عمل يتم في أعماق القلب، وهو يجزي عليه بمقتضى علمه الذي يكشف الإثم الكامن في القلوب، فهو العليم بمكنونات الضمائر خفيت أم ظهرت، المجازي عليها بالجزاء الأوفى[٤].

---

(١) انظر: سبب النزول الآية فيما رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير/ باب قوله تعالى: (لا يحسبن الذين يفرحون) ح(٤٥٦٧) ص٨٦٦.

(٢) انظر: تفسير الظلال لسيد قطب (٥٤٢/١).

(٣) انظر:تفسير السعدي ص٦٢.

(٤)انظر: تفسير الظلال لسيد قطب (٣٣٨/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويجدر التنبيه في نهاية هذا المطلب، أنه لا تنافي بين محاسبة الله لِمَا يُخفيه الإنسان في نفسه مِن كتم الشهادة ، وبين العفو عما حدث الإنسان به نفسه، ما لم يعمل أو يتكلم فتلك الخطرات التي تتحدث بها النفوس، ولا يتصف العبد بها ولا يصمم عليها ، ولا يترتب عليها فساد من قريب أو بعيد، أما التي ورد الوعيد عليها فهي العزائم المصممة والأوصاف الثابتة في النفوس[1] ، كصفة الرياء المتمثل في السعي لنيل المدح والثناء دون ابتغاء ثواب الله، وكصفة كتمان الشهادة التي تمثل تفريط في حق الله وحق العباد.

(١)انظر تفسير السعدي ص١١١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

التحلية

تأتى تحلية النفوس بالفضائل والمكارم، بعد تخليتها من الرذائل والآفات، فتصبح مهيأة لغرس كريم السجايا والمناقب، وأفضل ما تتجمل به النفس هو انقيادها لباريها وسيرها وفق مراده،وإنابتها وإخباتها إليه- سبحانه- في السر والعلانية، وتعظيمها له وحسن تدبرها لكتابه، مع تحليها بمزيد النظر والاعتبار.

المطلب الأول

تعظيم شعائر الله

التعظيم عبادة قلبية ، وقُربة خفية، وهو معلم من معالم نقاء السريرة لا يطلع علي صدقه إلا الله سبحانه وقد جعله الله _ تعالى _ دلالة تقوى القلوب قال عز وجل: ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ [الحج :٣٢].

وتقييد التقوى بالقلوب في الآية السابقة، يشير إلى أن التقوى المطلوبة هي التي يكون محلها القلب، وهي تقوى حقيقية صادقة يتصف بها المُؤمن الصادق، وهي التي تميزه عن أرباب التقوى الصورية الكاذبة، التي يتصف بها المنافقون فإنهم كثيراً ما تخشع أعضاؤهم وقلوبهم ساهية لاهية[١].

ويتحقق التعظيم بإجلال كل ما أمر الله _ تعالى _ به من أعلام الدين والقيام بما شرعه من عبادات، مصحوبة بتعظيم لله صادر من أعماق القلوب، كما يفيد كذلك تعظيم كل مَالهُ حُرْمةٌ وأمَرَ سبحانه باحترامه إجلالاً بالقلب دون تهاون أو تثاقل[٢] وفى ذلك برهان علي التقوى وصحة الإيمان، إذ إنّ هذا التعظيم تابع لتعظيم الله _ تعالى _ وإجلاله.

وبمفهوم العكس، فإنّ الاستخفاف بحرمات الله والتهاون بشأنها، وغفلة القلب عن إجلالها واستشعار عظمها، يدل بوضوح علي تربة قلوب مجدبة إلي التقوى بحيث تكون مخافة الخلق

---

(١) انظر : تفسير روح المعاني للألوسي المجلد السادس (١٥١/١٧).

(٢) انظر : تفسير السعدي (ص٥١٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عند أهل تلك القلوب أعظم من مخافة الله، فيبارزونه بالعظائم لا يبالون بنظره _ تعالى _ إليهم واطلاعه عليهم قال عز وجل مبيناً حال هؤلاء: ﴿ **يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً** ﴾ [النساء:١٠٨].ومن أعظم الظلم والجهل طلب التعظيم والتوقير للنفس من الناس مَع خلو القلب من تعظيم الله وتوقيره قال تعالى: ﴿ **مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً** ﴾ [نوح:١٣].

فتعظيم الله _ تعالى _ ومعرفة حقوق عظمته دافع لطاعته وشكره واجتناب معاصيه والحياء منه بحسب وقاره في القلب. ومن وقاره _ تعالى _ أن لا يُعدل به شئ من الخلق لا في اللفظ ولا في الحب والإجلال والطاعة، ولا في الخوف والرجاء، ولا يستهان بحقه، ولا يجعل فضلة الأمور فتقدم حقوق المخلوقين عليه، أو يُعطوا في المخاطبة القلب واللب ويُعطي الله في خدمته البدن واللسان دون القلب والجوارح، ويُجعل مراد النفس مقدماً على مراد الله تعالى ، فذلك كله من عدم وقار الله في القلب ، ومن كان كذلك، فإن الله لا يلقي له في قلوب الناس وقاراً ولا هيبة، بل يسقط وقاره وهيبته من قلوبهم، وإنْ وقَّروه مخافة شرِّه فإنّه وقار بُغض لا وقار حب وتعظيم [١].

ومن أعظم مظاهر تعظيم الله _ تعالى _ أن يُستحى من اطلاعه علي السر والضمير فيرى فيه ما يكره ، وأن يُستحى منه في الخلوة أعظم من الحياء من أكابر الناس .

ولتعظيم شعائر الله _ سبحانه _ أثر عظيم في حياة الأفراد والجماعات، فهو مُشعر بالسعادة والرضا والطمأنينة ، دافع لعمل الطاعات والقربات، باعث علي الإخلاص والمراقبة، مؤلف بين قلوب الناس، كما يُعَدُّ سبيلاً للإصلاح والقضاء علي الخصومات إذ إنَّ إصلاح العباد ما بينهم وبين خالقهم، وتعظيمهم لشعائره مُؤْذِنٌ بإصلاح ذات بينهم، فالجزاء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الإحسان إِلَّا الإحسان** ﴾ [الرحمن:٦٠]

---

(١) انظر: الفوائد لابن القيم(ص٢١٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

السير في الأرض

يُقصد بالسير فى هذا المطلب السير الموصل إلي حسن التدبر والاعتبار ، ولا يُعتد بسير الأقدام ما دام أقصى منتهاها مقصور علي تحقيق رغبات النفوس ، إنما السير الذي أكد القرآن عليه في كثير من الآيات هو سير الهمم والقلوب ، فإنه يورث العبرة وأخذ الدروس ، مِنْ كل ما شاء الله أنْ تقع عليه الحواس أو تعقله القلوب ، من صفحات الكون ومن آيات الله البينات .

وقد جاء الخطاب القرآني في كُثير من الآيات حاثاً علي السير في الأرض، مبيناً أهمية النظر في أخبار السابقين، ليتحقق الاعتبار بأحوال الأمم الماضية قال تعالى: **﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾** [آل عمران :١٣٧] وفي ذلك الخطاب القرآني بيان لسنة الله في الخلق ، القاضية بأنّ قوة الظالمين وعتوهم علي الضعفاء أمر زائل ، والعاقبة للمتقين المُحقِّين[١]، وقد تقرر هذا المعنى في كثير من الآيات القرآنية نحو قوله تعالى: **﴿ ...أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** [يوسف:١٠٩].

كما بيَّن الله _ سبحانه _ في سياق الحديث عن سير النظر والاعتبار ، أنَّ قوة السابقين وبأسهم وما تركوا من آثار في الأرض إنْ فاقوا في جميع ذلك مَنْ تبعهم مِن الناس ، فإنه لا يُغني عنهم من عذاب الله شيئاً إنْ حاق بهم بأسه أو حلّ عليهم غضبه [٢] ، قال تعالى: **﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾** [غافر:٨٢]، كذلك أخبر الله _ تعالى _ أن الاستهزاء بالحق وإنكاره وتكذيب أهله ، هو سبب سوء العاقبة لأولئك المكذبين المجرمين ، وإنْ تعددت وتنوعت علي مدى الزمان أساليبهم في الاستهزاء و الإنكار ، ودعا _ سبحانه _ كل مَن شاكل هؤلاء إلى الاعتبار بمصيرهم ، وما حلّ بهم من العذاب الإلهي العادل ، قال تعالى: **﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ،قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾** [الأنعام:١٠-١١]. ومن مواضع الاعتبار التي حث القرآن

---

(١) انظر: تفسير ابن عاشور المجلد الثاني(٩٧/٤).

(٢) انظر: تفسير السعدي (ص٧١٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علي تدبرها ، مسألة بدء الخلق والنشأة الآخرة ومثال ذلك قوله تعالى ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [العنكبوت:٢٠]، فالقرآن الكريم يلفت إلي حقيقة دقيقة مترتبة علي السير في الأرض وهي حقيقة المبدأ والمعاد ، التي تعيشها القلوب بعد تتبع لصنع الله وآياته في الخلق والإنشاء ، ليتم الإدراك بأنّ الذي أنشأ يُعيد بلا عناء .

وحقيقة هذا الأمر ، أنّ السير في الأرض يفتح أعين القلوب والجوارح على مشاهد الاعتبار التي توقظ الحس والمشاعر ، وتحيي القلوب والضمائر ، وتثير التطلع والانتباه إلى الأسرار والآثار ، وذلك بدعوتها إلى التأمل والتدبر في آثار قدرة الله على إنشاء الحياة [١] كذلك عرض القرآن الكريم في سياق دعوته للسير في الأرض ، لبيان دور الجوارح ومدى ارتباطه بدور القلوب، وذلك في قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج : ٤٦] .

فقد بين _عز وجل _ أنّ السير في الأرض هو السبيل لعقل القلب ، والاستفادة من السمع والبصر، كما عاب _ سبحانه _ على من منعوا قلوبهم تعقلها ، وآذانهم سمعها، وأعينهم إبصارها حين غفلوا بكل ذلك عن إدراك مواطن الحق ومعرفة مواضع الاعتبار [٢] .

ويتجلّى فيما تقدم أنّ السمع والبصر لا يُجديان عند غفلة القلب، كما أنّ انتفاءهما لا يُضير شيئا مع تحقق بصيرة القلب وصحوة الضمير.

المطلب الثالث

تدبر القرآن .

التدبر مأخوذ من مادة (دَبُر) ، ودابر كل شئ آخره ونهايته ، واستَدْبَرَ الأمر إذا رأي في عاقبته ما لم يرَ في صدره [٣].

*ويُقصد بالتدبر النظر في عواقب الأمور ، فإذا أُضيف إلى القرآن أفاد معنيين :

---

(١) انظر:تفسير الظلال لسيد قطب(٢٧٣١).

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني(٦٥١/٣).

(٣) انظر: القاموس المحيط (٣٥١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأول : تأمل دلالة تفاصيل آياته على مقاصده وإرشاده .

الثاني : تأمل دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنّه من عند الله[١] .

ويعدّ تدبر القرآن أنفع زاد للقلوب ، فإنه يورّث المحبة والخوف والرجاء والإنابة والتوكل ، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله ، كما يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة ، التي بها فساد القلب وهلاكه [٢] .

وينبغي عند استماع كتاب الله _ تعالى _ من شهود القلب ، والفهم ، واستبعاد الغفلة المانعة من حصول التأثير ، وهي سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له والنظر فيه ، وتأمله ، فإذا حصل المؤثر وهو القرآن ، والمحل القابل وهو القلب الحي ، ووجد الشرط وهو الإصغاء ، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلي شئ آخر ، حصل الأثر وهو التدبر والانتفاع والتذكر [٣] .

وقد جاء التدبر في القرآن في أربعة مواضع ، ثلاثة منها في مخاطبة الكفار والمنافقين ، وموضع رابع في مخاطبة المؤمنين .

أما الثلاثة التي خوطب فيها الكفار فجاءت متضمنة ذم الله _ تعالى _ إقفال القلوب عن تدبر الذكر الحكيم [٤] ، كما في قوله تعالى: **﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾** [محمد:٢٤]

كما تضمنت الآيات تسفيه الله لعقول الكفار وإنكاره عليهم عدم تدبر القرآن ، وقد ضلت في آبائهم دلائل التذكير المماثلة ، قال تعالى: **﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾** [المؤمنون:٦٨] ، كذلك إخباره _ تعالى _ عن القرآن، وخلوه من الاختلاف والتناقض ، كونه منّزل من عند الله العليم القادر على ما لا يقدر عليه غيره، العالم بما لا يعلمه أحد سواه [٥]

قال تعالى: **﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ﴾** **[النساء:٨٢]**

وعند التأمل في هذه المواقف الثلاثة يمكن ملاحظة :

اشتراكها في خطاب الإنكار والاستقباح والذي يُفهم من تصدير كل آية بالاستفهام الإنكاري،

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور المجلد الثاني(١٣٧/٥).

(٢) انظر:مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم (١٩٥/١)

(٣) انظر :الفوائد لابن القيم (ص١٨)

(٤) انظر:تفسير روح المعاني للالوسي المجلد التاسع(٧٤/٢٦).

(٥) انظر: تفسير الكشاف للزمخشري(٤٦٨/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما الموقف الرابع من مواقف التدبر في القرآن فقد خاطب الله _ تعالى _ فيه نبيّه ﷺ مبيناً الحكمة من إنزال هذا القرآن إليه ، والمتمثلة في ما يتميز به أولو الألباب عن غيرهم من تدبر آيات الله _ سبحانه وتعالى _ كما في قوله تعالى: **﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾** [ص:٢٩].

والناظر إلى هذه الآية يلمس لين الخطاب باختلاف حال المخاطَبين ، كما يلمس كذلك وصف القرآن بأنه (مُبَارَك) وفي هذا إشارة واضحة إلى أنّ بركات القرآن هي عطاء إلهي لا يكون إلا لمن يستحق ذلك من أولي الألباب المتدبرين لآياته .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

حقائق قرآنية عن أعمال السرائر

المطلب الأول

انشراح الصدر

أصل الشرح في اللغة الكشف والفتح والتوسيع [١]، ويُقصد بانشراح الصدر اتساعه وانفساحه واطمئنانه لقبول الحق[٢]، وارتياحه نتيجة الإيمان والمعرفة والنور والحكمة، ويتحقق بإزالة ما في نفس الإنسان من خواطر تكدره أو توجب تردده [٣]، وهو علامة نقاء الباطن بحلول نور الهداية فيه ، وقد جاء في القرآن مقترناً بالهداية ، في حين اقترن ضيق الصدر بالكفر والضلال وقسوة القلب ، قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأنعام : ١٢٥] ،وانشراح صدر المؤمن يكون لفسح الله له ، وتهوينه الأمر عليه ، وتسهيله له بلطفه _سبحانه_ ومعونته حتى يستنير الإسلام في قلبه فيضئ له ويتسع له صدره بالقبول[٤]،أما شرح الصدر بالكفر ، فيكون باعتقاده وطيب النفس به[٥] ، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [النحل: ١٠٦] .

وقد ربط _ تعالى _ في كتابه الكريم بين انشراح الصدر وبين حياة نبيّين من أنبيائه في موضعين من القرآن الكريم .

---

(١) انظر:القاموس المحيط ص٢٠٦ مادة (شرح).

(٢) انظر : إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم لمحمد بن محمد بن مصطفي العمادي أبي السعود (٢٠٤/٢).

(٣) انظر : تفسير ابن عاشور ، المجلد السابع ، (٢١٠/١٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣٣٣٦/٤).

(٥) انظر: روح المعاني للألوسي المجلد الخامس (٢٣٧/١٤) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضع الأول :- جاء في سورة الشرح ، مخاطباً نبيّه محمداً ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾ [الشرح:١] ، وأقوال المفسرين[١] حول هذه الآية تدور حول معنيين لشرح صدر النبي ﷺ:-

أحدهما: حادثة شق الصدر التي حدثت معه قبل البعثة[٢] وتكرر حدوثها بعد ذلك .

والثاني : ملء قلبه ﷺ بالإيمان والمعرفة والنور والحكمة والعلم وانفساخه لتحمل الرسالة .

والناظر في هذين المعنيين، يرى أنَّهما يَخلُصَان إلي نتيجة واحدة باعتبار أنَّ حادثة شقّ الصدر التي حدثت معه ﷺ، قد مهَّدت السبيل لتهيئة صدره ﷺ لتحمل الدعوة ، ذلك أنّ انشراح الصدر في حقه ﷺ، يشمل صبره وصفحه عن أعدائه [٣] .

الموضع الثاني:- جاء في سورة طه ، في بيانه تعالى لقصة موسى –عليه السلام- قال عز وجل حكاية عنه: ﴿ **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي *وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي** ﴾ [طه ٢٥-٢٦] فالآية المذكورة أفادت أنَّ شرح الصدر ، يُعدُّ أعظم نعمة وأقوى عُدّة في تبليغ الدعوة وتحمل أعباء الرسالة، لذلك دعا موسى –عليه السلام – ربه أنْ يعطيه إياها، والملاحظ كذلك أنَّ الدعاء بشرح الصدر ، قد تَصَدَّرَ أربعة من دواعي العون علي أداء الرسالة ، تمثلت في تيسير الأمر، وإطلاق اللسان، ومؤازرة الأهل ، وتقديم شرح الصدر علي ذلك كله يفيد أهميته، لأنَّ به تُقَابل كل الصعاب[٤]، قال تعالى في بيان ذلك عن موسى عليه السلام: ﴿ **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي**﴾ [طه: ٢٥-٢٩] .

كما بيَّن الله _تعالى_ ما يؤول إليه انشراح الصدور من حسن العاقبة متمثلة في النور الإلهي يكون عليه مَنْ شرح الله صدره للإسلام ، قال تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ** ﴾ [الزمر:٢٢] .

فهذه المفاصلة بَيْن مَنْ شرح الله صدره للحق، وأصحاب القلوب القاسية تظهر بجلاء ما يتركه النور الإلهي من معالم واضحة في حياة المؤمن، فتوحيده لخالقه ألبسه ثوب العزة،

---

(١) انظر: تفسير السعدي ص٨٨١، وتفسير ابن كثير (٥٢٤/٤)، وتفسير الكشاف للزمخشري (٦١٧/٤).

(٢) جاء خبر ذلك في صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ، حديث ح (٦٥) ص١٠٤.

(٣) انظر: تفسير أضواء البيان للشنقيطي (٣١٠/٩).

(٤) انظر: المرجع السابق (٣١١/٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتعلّمه لكتاب ربه أكسبه الحكمة، ودعاه إلى الإخلاص له _سبحانه _ فتطهر باطنه من الغل والحسد والرياء[١] وهو بذلك قد نأى عن أصحاب القلوب القاسية ، والصدور الضيقة الذين لم تذكرهم الآية السابقة علي سبيل التصريح، تحقيراً لهم وتهويناً لشأنهم ، إذا اقترن ذكرهم بمن شرح الله صدورهم للإسلام .

المطلب الثاني

وقفات قرآنية بين القلب والفؤاد

الأصل في كلمة القلب ما يدل على خالص الشيء وشريفه[٢]، ومنه قلب الإنسان سمي بذلك لأنه أخلص شئ فيه وأرفعه ، وخالص كل شئ قلبه ، ومنه قولهم عربيٌ قَلْب أي خالص محض ، كما يفيد أصل هذه الكلمة رد الشئ من جهة إلى جهة، يقال قلَّب الأمور إذا بحثها ونظر في عواقبها ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ ﴾ [التوبة : ٤٨] .

ويحتمل أصل كلمة القلب معني تحويل الشئ عن وجهه ومنه قول النبي ﷺ (يا مقلب القلوب)[٣] ،وأصل كلمة الفؤاد من (فأد) وهو ما دل علي حمى وشدة حرارة ، ومن ذلك فَأَدْتُ اللحم إذا شويته ، والفؤاد سمي بذلك لحرارته[٤]،وقد جاء ذكر الفؤاد في القرآن الكريم ست عشرة مرة في حين جاء ذكر القلب مائة واثنتين وثلاثين مرة، ومن خلال التأمل في ورود المفردتين في القرآن الكريم يمكن ملاحظة ما يلي :-

أولا : جاءت لفظة (الفؤاد) في آيات من القرآن جميعها مكية ولم تَرد في آي سورة مدنية .

ثانيا : الآيات الكريمة التي خاطبت النبي ﷺ بلفظ الفؤاد جاءت في ثلاثة مواضع الأول في قوله تعالى: **﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾** [لنجم:١١] وذلك في بيان القرآن لتلقي النبي الوحي وتحققه منه ببصره وفؤاده ، ومفهوم ضمناً حالة النبي ﷺ أثناء الوحي وما يعتريه من تغير

---

(١) انظر : تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ، المجلد التاسع (٣٨١/٢٣) .

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس(١٧/٥)، لسان العرب لابن منظور(٦٨٥/١) مادة (قلب).

(٣) صحيح البخاري،كتاب القدر،باب(يحول بين المرء ولسانه) ح(٦٦١٧) ص١٢٦٥.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور(٣٢٨/٣)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس(٤٦٩/٤). مادة (فأد).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحال وهو ما بيّنه الحديث الشريف في قول عائشة رضي الله عنها (ولقد رَأَيْتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فَيُفصَم عنه وإنَّ جبينه ليفيض عرقاً)[١].

لذلك ناسب مقام الآية تعبير القرآن بلفظ (الفؤاد) الدّال في أصله على التوقد مناسبة للسياق .

والموضع الثاني في قوله تعالى : ﴿ **وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [هود:١٢٠] .

ولا يخفى ما في الآية المذكورة من إرادة التسلية وإزالة الحزَن عن النبي ﷺ بذكر صبر السابقين وتحمّلهم وثباتهم[٢]).

والموضع الثالث في قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً** ﴾ [الفرقان:٣٢] .

إذ إنّ نزول القرآن الكريم متفرقاً ، يزيده ﷺ طمأنينة وثباتاً ، خصوصاً عند ورود أسباب القلق ، فيكون للنزول موقع عظيم وتأثير كبير[٣]،ومعلوم من سيرته ﷺ أنّ أكثر ما تعرض له من دواعي القلق ، وما لاقاه من أسباب الأذى والحزَن كانت في الفترة المكية ، لذلك ناسب المواضع الثلاثة المتقدمة _ كما تري الباحثة _ التعبير بلفظ الفؤاد دون القلب ، علماً بأنّ الله _ تعالى _ قد بيَّن في مواضع أخرى ما كان عليه النبي ﷺ من تَحمُّل شديد لهمّ الدعوة ، كما في قوله تعالى : ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفا** ﴾ [الكهف:٦] وقوله تعالى: ﴿ **لا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ** ﴾ [فاطر:٨]، وقوله سبحانه: ﴿ **لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾ [الشعراء:٣] .

ثالثاً :- اشترك الفؤاد مع القلب في صفتين هما الصَّغْو والتقليب وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ**﴾ [الأنعام: ١١٣] . وقوله تعالى : ﴿ **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ﴾ [التحريم:٤]. وأصل الصَّغْو : الميل ، ومنه صَغَت الشمس إذا مالت للغروب[٤] .

فالآيتان السابقتان دلَّتا علي أنَّ لكل من القلب والفؤاد ميلاً واختياراً ، كما اشترك الفؤاد مع القلب في صفة التقليب وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ص٢١.

(٢) انظر: تفسير السعدي ص ٣٧٠.

(٣) انظر : المرجع السابق ص٥٥٨.

(٤) انظر: القاموس المحيط ص١١٧٦ مادة(صَغَوَ).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ١١٠] ، في إشارة إلي صرف الكفار عن الهداية، وقوله تعالى: **﴿يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾** [النور:٣٧] في سياق إخباره _ تعالى _ عن أهل الإيمان وتقواهم وخوفهم من عذاب الله يوم القيامة .

رابعا :- اختص الفؤاد بصفات لا توجد في القلب وهي :-

١- **الرؤية**: قال تعالى: **﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم:١٠-١١]** في إشارة إلي تواطؤ الفؤاد مع الجوارح في تلقي الوحي الصادق إلى النبيﷺ.

٢- **الفراغ والهواء** : أصل الفراغ الإخْلاء ، والفَراغَة : الجزع والقلق[١] ومنه قوله تعالى: **﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً ﴾** [القصص: ١٠] وذلك في بيان حال أم موسى _ عليه السلام _ وخُلُوّ فؤادها من أمور الدنيا[٢]وتحرّقها علي رؤيته _ عليه السلام _، كما بين الله _ سبحانه _ سوء حال الكفار يوم القيامة وذلك في قوله تعالى: ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [ابراهيم:٤٣] ، فعبَّر القرآن عن عذاب الكفار بفراغ أفئدتهم في إشارة إلى خلوّها من القوة والجرأة وامتلائها بالخوف والهمّ والغمّ والقلق[٣].

٣- **الهوى** : وذلك في قوله _ تعالى _ حكاية عن نبيه إبراهيم _ عليه السلام _ **﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾** [ابراهيم: ٣٧] . فالقرآن الكريم نسب الهوى للأفئدة من الناس، في بيان لشدة الشوق والمحبة، وكأن الذي يُسرع هو الفؤاد وليس الجسد[٤]، وفي هذا بيان لتعبير القرآن بلفظ الفؤاد دون القلب لإفادة التحرق والاشتياق .

٤- **التثبيت**: جاءت هذه الصفة في سياق حديث القرآن عن دَوْر أخبار الأنبياء والأمم السابقة، في تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتسليته وإزالة أسباب القلق والحزن عنه ، في قوله تعالى **﴿وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** [هود: ١٢٠] .

خامسا: جاء ذكر القلب في القرآن مقترناً بصفات وأحوال متباينة كالهداية والضلال ، والسلامة والمرض ، والإنابة والنفاق ، والختم والربط ، والإخبات والقسوة ، والزيغ والخشوع ، وغير ذلك من الصفات التي تبين خصوصية هذا القلب ، ومركزيته ومحوريته في تكوين شخصية الإنسان .

---

(١) نظر: القاموس المحيط ص٧٠٧ مادة(فَرَغ).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير(٣٨١/٣).

(٣) انظر: تفسير الكشاف للزمخشري(٥٤٦/٢)

(٤) انظر: تفسير ابن عاشور المجلد السادس(٢٤٢/١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد جمع القرآن الكريم بَيْن ذكر القلب والفؤاد في آية واحدة في قوله تعالى: ﴿ **وَأَصْبَحَ فُــؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَــا لِتَكُــونَ مِــنَ الْمُــؤْمِنِينَ** ﴾ **[القصص: ١٠]**.

كما جاء ذلك في سنة النبي ﷺ في قوله: (جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا)[١].

والجمع بين المفردتين في سياق واحد يفهم منه المغايرة بينهما ، ففي الآية السابقة نسب تعالى صفة الفراغ إلي الفؤاد في حين نُسب الربط إلي القلب ، وبَنى على هذا الربط علــى القلــب امتناع أم موسى عن الإبداء بابنها ، وفي هذا _ حسب رأي الباحثة _ تلميح إلى خــصوصية القلب عن الفؤاد ، والحديث السابق أكد هذا المعنى حين نسب الرقة إلى الفؤاد ، واللين إلــي القلب إذْ إنَّ الرقَّة تحمل معني الرحمة ، في حين أنّ اللين يحمل معنــي الــسكون والوقــار والخشوع[٢]، فكان أخص من الرقة ، لذا شاع في الاستعمال أنّ القلب أخص مــن الفــؤاد[٣]، ومنه قولهم : أصبت سويداء قلبه في إشارة إلي الخصوصية[٤] .

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان، ح(٨٤) ص٥١.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ص٨٣٧.

(٣) انظر: المرجع السابق ص٧٥٥.

(٤) انظر:لسان العرب لابن منظور(١١٨/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

أسباب أمراض القلوب ومظاهرها وعلاجها

جاء ذكر الذين في قلوبهم مرض في اثني عشر موضعاً من كتاب الله تعالى ، ويُقصد بمرض القلب نوع فساد يحصل له ، يفسد به تصور الحق وإرادته[1]، فتنقلب عندئذ موازين الحق والباطل ، وتنتكس رؤية الأمور علي وجه الحقيقة ، وقد أخبر _ سبحانه _ في كتابه العزيز عن أسباب أمراض القلوب ، وسبل الشفاء منها ، رحمة منه _ تعالى _ بخلقه ، وتفضلاً منه وإحساناً ، وفيما يلي بيان ذلك :

أولا :- أسباب أمراض القلوب :-

عرض القرآن الكريم _ في سياق البناء العقائدي _ الأسباب الحقيقية لمرض القلب، والبواعث التي تفسد معها أهم مضغة في الجسد ، وتنحصر هذه الأسباب في أمرين هامّين إذا اعترضا القلب وتواردا عليه واستحكما فيه كان هلاكه وموته وهما :

١- مرض الشهوات .

٢- مرض الشبهات.

ويعتبر هذان المرضان أصل داء الخلق ، ومنشأ انحرافهم وغيّهم وضلالهم ، ومبعث شقائهم وضنك معيشتهم ، وهما أصعب من أمراض البدن ، لأن غاية مرض البدن أن يُفضي بصاحبه إلى الموت ، أما مرض القلب فيُفضي بصاحبه إلى الشقاء الأبدي [2] .

وقد تحدَّث القرآن عن مرض القلب بالشهوات في قوله تعالى : ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**﴾ [الأحزاب: ٣٢] فالمراد بمرض القلب هنا هو الريبة والفجور [3] .

أما مرض القلب بالشبهات فجاء في بيان القرآن لأمر المنافقين كما في قوله تعالى: ﴿ **فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً** ﴾ [البقرة: ١٠] ، وقوله سبحانه : ﴿ **وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً** ﴾ [المدثر: ٣١] وقوله عز وجل: ﴿**لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ**﴾ [الحج:٥٣] ،ومن

---

(١) انظر : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١٧/١).

(٢) انظر : مفتاح دار السعادة لابن القيم (١١٨/١)

(٣) انظر : تفسير الكشاف للزمخشري (٥٦٢/٣) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الملاحظ من الآيات التي تحدثت عن مرض القلب بالشبهات أنها جعلته علامة النفاق والمنافقين ، كونهم أسروا في أنفسهم خلاف ما أظهروه للناس ، وهذه غاية فساد القلوب ، وبُعدها عن الله تعالى .

ثانيا :ملامح أمراض القلوب في القرآن .

بَيّن القرآن الكريم في عرضه لأمراض القلوب ملامح ودلائل هذه الأمراض ، وأوضح أحوال مرضى القلوب ليستبين المؤمن السبيل القويم في المحافظة على سلامة قلبه وكمال إنابته للخالق سبحانه ومن هذه الملامح :-

١- **ادعاء الإيمان كذبًا** : ومثال ذلك ما وقع من المنافقين حين أظهروا خلاف ما استبطنوه من الكفر وإرادة الخداع قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ [البقرة :٨] ، فهم يظهرون الإيمان يريدون إحراز أموالهم ودمائهم وفي قلوبهم غير ذلك[١]، ويعد ذلك من خداع الأنفس لأنه يُظهر لها بذلك التظاهر أنه يعطيها ما يسرها ، وهو في حقيقة الأمر يوردها حياض الشقاء، قال عز وجل : ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة :٩] .

٢- **الإفساد في الأرض** : ارتبط مرض القلب في القرآن الكريم بالأفعال الممقوتة والخصال المذمومة ومن ذلك معصية الله تعالى والأمر بمعصيته والذى يُفضي إلي الإفساد في الأرض عند غياب الطاعة قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾ [البقرة :١١] ، وهذا الإفساد من الذين في قلوبهم مرض يدل بوضوح علي اختلال الموازين عند تلف ميزان الإخلاص والتجرد في النفوس [٢] ، ذلك أن من لا يخلص سريرته لله يتعذر أن يشعر بفساد عمله قال تعالى : ﴿ **أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة:١٢] .

٣- **السَّفَه** :-

ويُقصد به سخافة العقل ، وقد بيَّن القرآن الكريم أن الذين في قلوبهم مرض إذا طلب منهم الإيمان ودُعوا إليه ما كان جوابهم إلا استكبارًا على غيرهم واستخفافًا بهم زاعمين أنهم أكمل عقلاً وفهماً قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة:١٣] .

وهذا الموقف من أصحاب القلوب المريضة أظهر اختلال النظر وانتكاس ميزان الحكم على

---

(١) انظر تفسير ابن كثير(٤٨/١)

(٢) انظر تفسير الظلال لسيد قطب(٤٤/١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حقيقة الأمور بسبب فساد الباعث وهو القلب .

٤ – ضعف الثقة بالله :-

كلما كان القلب سليماً مطمئنا منيباً كانت ثقته بالله أشد وأعظم ، وبمفهوم العكس فإنّ مرض القلب سبيل لزعزعة الثقة وفقدان اليقين بالله سبحانه وتعالى ، وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ، فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾** [المائدة:٥١-٥٢]

إذ إنّ الذين في قلوبهم مرض لا يدركون حقيقة الإيمان ، وهم كذلك لا يملكون التصور الصحيح لمعنى أن الله هو الولي الناصر وأن الاستنصار بغيره _ سبحانه _ هو الضلالة والخسران بعينه .

والمتأمل في هذه الآية يرى أن أحوج زاد يَلزم المؤمن عند اشتداد الكروب ، وحدوث البلاء هو زاد الثقة واليقين بالله سبحانه وتعالى، إذ بيده وحده مفاتيح الفرج والعتق والخلاص .

٥– عدم الانتفاع بالآيات :

يقع عدم الانتفاع بالآيات من فساد محل الانتفاع وهو القلب، فيصبح محلاً للجحود والإعراض ، ومثال ذلك ما بيَّنه القرآن من أمر الذين في قلوبهم مرض عند إنزال سورة من القرآن، قال تعالى: **﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾** [التوبة:١٢٤-١٢٥] .

إذْ أخبر _ سبحانه _ أنَّ الانتفاع بآياته البينات ، كان عند صلاح المحل وهو قلوب المؤمنين الصادقين ، وتَمثَّل الانتفاع لديهم في صورتين هما : زيادة الإيمان ، والاستبشار[١] .

في حين لحق بالذين في قلوبهم مرض ، وهم قد فسد لديهم محل الانتفاع ، لحق بهم مصيبتان هما : زيادة كفرهم ورجسهم ، وسوء الخاتمة بالموت على الكفر .

ويتبين للناظر في هذه الآية مدى تأثير عمل القلب على حياة الإنسان إذ يمتد أثره إلى لحظة النهاية وهي الخاتمة التي تكون بشرى لأصحاب القلوب السليمة، وسوء الخاتمة لمن تحقق فيه مرض القلب .

---

(١) انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور المجلد الخامس (٦٦/١١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦ – الافتتان بالشبهات :

بيّن القرآن الكريم نوعين من القلوب عند ورود شبهات الشيطان ووساوسه ، وكل نوع من هذين القلبين يتعامل مع الشبهات وفق ما رُكِّب فيه من الهداية أو الضلال وما طُبع عليه من السلامة أو المرض ، فيكون جزاء كل منهما من جنس عمله ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ، لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [الحج:٥٢-٥٤].

وقد أكد النبي ﷺ المعنى السابق في قوله ﷺ: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأي قلب أُشرِبَها نُكِتَ فيه نُكْتَه سوداء وأي أنكرها نُكِت فيه نُكْتَه بيضاء حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مُرْبادّا كالكُوز مُجَخِّياً لا يَعرف معروفاً ولا يُنكر منكرا ، إلا ما أُشْرِبَ من هواه) [(١)].

والمتأمل في الآية والحديث السابقين ، يستنتج حقيقة إيمانية مُفادها أنَّ ورود الشبهات على القلوب السليمة يمنحها زيادة اليقين ، وقوة دحض الافتراء والوساوس ، مما يزيدها إيماناً وانقياداً وتسليماً ، في حين أنَّ ورود هذه الشبهات على القلوب المريضة ينسجم مع ما صُبغت به من الفساد والسَّقم ، فيتمكَّن المرض من القلب تَمكُّن الصفة من الموصوف ، وتفسير ذلك أنَّ الجزاء من جنس العمل .

٧ – عدم الاحتكام إلى الشريعة وتقديم الهوى عليها :

إنَّ الرضا بحكم الله ورسوله هو دلالة الإيمان الحق ، وهو المظهر الذي ينبئ عن سلامة القلب وطهارته ، ويَنشأ الانحراف عن قبول منهج الحق بسبب مرض القلب بداء اتباع الهوى وهو ما بيَّنه _ سبحانه _ في قوله عن المنافقين: ﴿ **وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ، وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ، أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [النور:٤٨-٥٠] .

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة ح(١٤٤) ص ٩٠، ومعنى مرباداً أي اسوداً ومعنى مجخياً أي مائلا عن الاستقامة. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ص٣٣٦ و ص١٣٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالآيات الكريمة أظهرت دلالة مرض القلب متمثلة في اتباع الشرع عند موافقة الهوى ، ونبذه عند مخالفته، وهذا الفعل من الذين في قلوبهم مرض حَكَم عليهم بالظلم وسوء العاقبة [١]

٨- النكوص و التخذيل وضعف العزيمة :

وتتجلى هذه المواقف عند بروز الحاجة للثبات والصبر واليقين ، فيحدث حينئذ تمحيص للقلوب ، وهو ما بيَّنه الله _ تعالى _ من تباين أحوال القلوب عند اشتداد القتال ، قال سبحانه **﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً* وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾** [الأحزاب:١١-١٢] ، فالآية الكريمة أظهرت بجلاء أنَّ اشتداد الكرب في القتال ، ونزول الشدة والبلاء ، قد وجد فيه الذين في قلوبهم مرض فرصة للكشف عن خبيئة نفوسهم ، وسبيلاً للتوهين والتخذيل وبث الشك والريبة في وعد الله ورسوله ذلك لأنَّ الخوف قد أزاح عنهم ذلك الستار الرقيق من التجّمل ، فلم يثبت له إيمانهم المهلهل وهذه الحالة تتكرر على مر الزمان بتكرر مواقف المنافقين في كل عصر[٢]،ومن هنا يبرز دور سلامة القلب وإخباته عند حدوث الشدة والبلاء والكرب إذْ يُعُد ذلك سلاحاً لاغنى للمؤمن عنه ولا قيمة لسلاح الآلة إذا امتلكه قلب مرجف مريض .

ثالثا:-علاج أمراض القلب :

تضمّن القرآن الكريم أدوية القلب ، وعلاجه من جميع أمراضه ، التي مجموعها أمراض الشبهات والشهوات ، فالقرآن شفاء للنوعين ، إذ فيه من البينات والبراهين القاطعة ما يبيّن الحق من الباطل ، فتزول أمراض الشُبه وذلك من خلال عرض الآيات الكريمة لقضية التوحيد ورد المِلَل الباطلة والآراء الفاسدة ، على أتم الوجوه وأقربها إلى العقول.

ويتوقف الشفاء بما تقدم على فهم المقاصد ومعرفة المراد من الآيات الكريمة ولا يكون ذلك إلا لمن أبصر الحق من الباطل عياناً بقلبه ، وعلم أن كل ما عدا القرآن من كتب الناس وآرائهم ، إنما هي اجتهادات بشرية تبقى عاجزة عن طريقة القرآن ومنهجه الفريد في إزالة الشبهات عن القلوب[٣]، وقد جاءت الآيات القرآنية شافية لأمراض القلوب ، كما

---

(١)انظر : تفسير السعدي (ص٤٥٧).

(٢)انظر: تفسير الظلال لسيد قطب(٢٨٣٨/٥).

(٣)انظر:إغاثة اللهفان لابن القيم(٤٤/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ**﴾ [يونس: ٥٧] ، وقوله سبحانه : ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الإسراء: ٨٢]، كما بيَّن النبي ﷺ أنَّ جهل الإنسان بحقيقة الأمر هو داء ينبغي الشفاء منه وذلك في حديث صاحب الشجَّة الذي أفتوه بالغسل فمات فقال ﷺ: (قتلوه قتلهم الله ، ألا سألوا إذ لم يعلموا ، إنما شفاء العِيِّ السؤال)[١] فجعل العِيِّ وهو جهل القلب عن العلم مرضاً وشفاؤه سؤال العلماء[٢] .

أما شفاء القرآن لمرض الشهوات ، فذلك بما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب ، والتزهيد في الدنيا ، والترغيب في الآخرة ، فيرغب صاحب البصيرة في ما ينفعه في العاجل والآجل ، وينبذ شهوة تزيد آلامها أضعاف المرات على حلاوتها ، ويزيد صبره عنها على صبره على مُرّ عذابها ، وقد قال أهل العلم : مَنْ عرف ألم الفخّ هَانَ عليه ترك الحبّة[٣]، ومنهج القرآن في شفاء مرض الشهوات يزيل في الإنسان الإرادة الفاسدة، فتصلح القلوب وبصلاحها تصلح الأفعال ، لأن هذه القلوب قد تغذت من الإيمان والقرآن بما يزكيها ويقويها ،ولا سبيل لزكاة القلب ونموه وصلاحه وحميته إلا من خلال القرآن الكريم ، وإن حصلت للقلب زكاة من غير القرآن فإنما هي زكاة نزرة يسيرة لا يتم بها حصول المقصود [٤] قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ* قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [يونس:٥٧-٥٨] .

وتخلص الباحثة في نهاية هذا المطلب إلى إثبات خطورة مرض القلب فتكمن خطورته في كونه لا يشعر به صاحبه إذ قد يظن بنفسه أنه يحسن صنعا حتى تنقضي الآجال ، في حين أنَّ مرض الأبدان قد يدعو ظهور أعراضه إلى التداوى والاستطباب منه .

---

(١) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الطهارة،باب في المجروح يتيمم(٢٣٩/١).

(٢) انظر:مفتاح دار السعادة لابن القيم(١١٨/١).

(٣) انظر: الفوائد لابن القيم (ص ٨٦).

(٤) إغاثة اللهفان لابن القيم (٤٦/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

دواء السريرة

- المبحث الأول : النية .
- المبحث الثاني : الإخلاص .
- المبحث الثالث : الصدق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

النيـــة

المطلب الأول

النية لغةً واصطلاحاً

أولاً / النية لغةً :

مأخوذة من مادة (نوى)،ونوى الشئ نية وانتواه أى قصده واعتقده والنيـــة : الوجـــه يُـــذهب إليه[١]

ونويْتُ نية أى عزمت وقصدت ، ونية الشئ مقصده [٢] .

ثانياً / النية اصطلاحاً :

المعنى الاصطلاحي للنية مرتبط بالمعنى اللغوي ، فلذلك عدَّها العلماء بمعنى القصد وعزيمة القلب ، أى عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقاً لغرض من جلب نفع أو دفـــع ضـــر حالاً أو مآلاً فهي الإرادة المتوجهة نحو الفعل لابتغاء رضا الله _تعالى_ وامتثال حكمـــه [٣] ، وقد جاءت النية في كلام العلماء على معنيين :-

أحدهما : تمييز العبادات بعضها عن بعض، كتمييز صوم رمضان من صوم غيره وهذه النية كثرت في كلام الفقهاء .

والثاني : تمييز المقصود بالعمل ، وهل هو لله وحده لا شريك له أم لله وغيره ، وهذه النيـــة هي التي يتكلم فيها العارفون في كلامهم عن الإخلاص ، تارة بلفظ النية ، وتارة بلفظ الإرادة والقصد، وقد فرق بعض العلماء بين النية وبين الإرادة والقصد بأن النية تختص بفعل الناوي والإرادة لا تختص بذلك كمن يريد من الله أن يغفر له ولا ينوى ذلك [٤] .

---

(١) انظر : لسان العرب لابن منظور (٣٤٧/١٥).

(٢) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٦٦/٥) .

(٣) انظر : فتح الباري لابن حجر(١٤/١).

(٤) انظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب ص٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجاءت النية في كلام النبي ﷺ بالمعنى الثاني غالباً فهي حينئذ بمعنى الإرادة كما في قوله ﷺ (إنما الأعمال بالنيات ...) [1] . وكذلك جاءت النية في القرآن الكريم بلفظ الإرادة كما في قوله تعالى: ﴿ **مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٢] وقوله تعالى: ﴿ **تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ** ﴾ [لأنفال: ٦٧] وقوله سبحانه ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ**﴾ [الإسراء: ١٨] .

كما عبّر القرآن الكريم عن النية بلفظ الابتغاء كما في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِم**﴾ [البقرة:٢٦٥]، وقوله سبحانه: ﴿**وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّه**﴾ [البقرة:٢٧٢] وقوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّه**﴾ [البقرة:٢٠٧] .

وتُعَدُّ النية رأس الأمر وعموده ، وأساسه وأصله الذي عليه يُبنى فإنها روح العمل وقائده وسائقه ، والعمل تابع لها يبنى عليها ، يصح بصحتها ويفسد بفسادها ، وبها يُستجلب التوفيق، وبعدمها يحصل الخذلان ، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة ، فكم من مريد بعمله وجه الله ورضاه والقرب منه وما عنده ، ومريد بعمله وجه المخلوق ورجاء منفعته وما يناله منه تخويفاً أو طمعاً ، فيعمل الأول والثاني عملاً واحداً وبينهما في الفضل والثواب أعظم مما بين المشرق والمغرب ، وقد اقتضت سنة الله التي لا تحول، أن يُلبس صاحب النية الصادقة من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق وإقبال قلوبهم إليه ما هو بحسب نيته وإخلاصه ومعاملته لربه ، ويُلبس المرائي اللابس ثوبي الزور من المقت والمهانة والبغضاء ما هو اللائق به[2] .

المطلب الثاني

مجالات النية في القرآن

جاءت النية في القرآن الكريم بصيغتي الابتغاء والإرادة ، وقد تنوعت مجالاتها بتنوع الدواعي والبواعث الدافعة إليها ، ومن هذه المجالات ما كان سامياً عليّاً ، ومنها ما كان دون ذلك ، ومنها ما كان وضيعاً سيئاً بسوء بواعثه ودوافعه ، وفيما يلي بيان هذه المجالات:

---

(١) جزء من الحديث الصحيح رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحى ص٢١ ورواه مسلم في كتاب الإمارة باب قولهﷺ (إنما الأعمال بالنية) ح(١٩٠٧) ص٠٢٢

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية (١٩٩/٤) بتصرف يسير

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا/ ابتغاء مرضاة الله _تعالى_ والدار الآخرة :

وهى غاية ما يسعى إليه العبد ، وإليها تنتهي مطالبه وغاياته ، ولنيلها تُشحذ الهمم الصادقة والعزائم المخلصة ، وفى سبيلها حُقَّ أن تُبذَل الأنفس والأموال ، قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾ [البقرة:٢٠٧] ، فشرف الغاية المذكور في الآية والمتمثل في الفوز برضا الله تعالى ، قد قُدِّم في سبيله أغلى ما يملك الإنسان وهى النفس، وفى ذلك إشارة إلى أعلى درجات الإيمان [١].

ويجدر البيان في هذا المقام أنَّ إرادة الدار الآخرة تستوجب السعي اللائق بها كى يكون ذلك السعي مشكوراً مَرْضيّاً عند صاحب الفضل والمنّة _سبحانه_ إذ لا تصح إرادة الدار الآخرة مع إفلاس بضاعة السعي أو عدم ملاءمته قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً**﴾ [الإسراء:١٩] وهذا يتطلب من المؤمن حسن التزود بصالح النية وخالص السعي ملائمة لعلو تلك الدار .

كذلك أرشدت الآيات القرآنية المؤمنين إلى أقوم السبل وأقربها لنيل ثواب الله-تعالى- وابتغاء مرضاته، وذلك في الحديث عن الإنفاق في سبيل الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [البقرة:٢٦٥] وقوله سبحانه: ﴿ **وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٧٢] ، فالآيات المتقدمة أشارت إلى نية خالصة متمثلة في الإنفاق ابتغاء رضوان الله-تعالى- مع تثبيت النفس على التصديق والإخلاص مخالفة لحال المرائين والمنافقين ،الذين تمثلت دوافع الإنفاق عندهم في مراءاة الناس والتصنع لهم[٢] فإنفاق المؤمنين مخصوص بنية خالصة هي ابتغاء وجه الله – تعالى- بيّنها قوله سبحانه في الآية السابقة: ﴿ **وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ**﴾ [البقرة:٢٧٢].

ومن جملة ما دعت الآيات القرآنية إلى جعله ابتغاء مرضاة الله-عزوجل- خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل مالا يحسن ولا يجمل[٣]،ذلك هو خلق الصبر، وقد جعله الله –تعالى-من أهم ما يميز أهل الإيمان عمن سواهم، فلم يكتف منهم بمجرد الصبر حتى يكون خالصا لوجهه-سبحانه- ويتحقق ذلك بأن يجرد صبر المؤمن من حظوظ النفس ويكون

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور المجلد الأول (٢٧٣/٢) .

(٢) انظر: مفاتح الغيب للرازي المجلد الرابع(٥٦/٧)،والتحرير لابن عاشور المجلد الثاني (٥٤/٣).

(٣) انظر: عدة الصابرين لابن القيم ص١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خالصا لله- تعالى – قال عز وجل: ﴿ **وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ** ﴾ [الرعد:٢٢] كما حث سبحانه عباده المؤمنين على أن تكون نجواهم الخيرة ابتغاء مرضاته – تعالى- كما في قوله عز وجل: ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾ [النساء:١١٤] فالطاعات المذكورة في الآية من الصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس موقوف قبولها عند الله – تعالى –بمدى تحقق سلامة النية من ورائها فلا يقبل –سبحانه- من العمل إلا ماقصد به وجهه الكريم.

ثانيا: إرادة الخروج للجهاد في سبيل الله.

أرشدت الآيات القرآنية التي تحدثت عن الجهاد في سبيل الله إلى التلازم بين قبول هذه الطاعة عند الله – تعالى- وبين كونها في سبيله – سبحانه- وابتغاء مرضاته فجاءت مقترنة في معظم مواضعها بما يدلل على هذه النية الخالصة، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت:٦٩] وقوله سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [البقرة:٢١٨] وقوله تعالى:﴿ **إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي** ﴾ [الممتحنة:١] .

وقد ثبت في الذكر الحكيم قبول نية الجهاد الخالصة لله- تعالى- من أقوام مع عدم مباشرتهم للقتال كما في قوله عز وجل: ﴿ **وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ**﴾ (التوبة:٩٢) ، وقول النبي ﷺ: (إن أقواما بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعبا ولا واديا إلا وهم معنا فيه حبسهم العذر)[١] ، ومعلوم أن أجر المجاهد عند الله – تعالى –متوقف على مقدار إخلاصه في جهاده لله تعالى وهذا ما بينه النبي ﷺ في الحديث: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)[٢]، كما ذم الله- تعالى- خروج المنافقين للجهاد ،وذلك لعلمه- سبحانه- بفساد سرائرهم وخبث نواياهم وخلو قلوبهم من نية الجهاد الصادقة ،قال – تعالى- مبينا حال المنافقين: ﴿ **وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ**﴾ (التوبة:٤٦) .

---

(١) صحيح البخاري،كتاب الجهاد والسير،باب من حبسه العذر عن الغزو، ح(٢٨٣٩) ص٥٤٧.

(٢) تقدم تخريجه في الفصل الثاني ص٥٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا:إرادة الإصلاح.

تحدث القرآن عن هذه الإرادة في حق نبي الله شعيب –عليه السلام- وذلك في بيانه طبيعة رسالته لقومه وأنه ما بعث فيهم لمجرد مخالفتهم وإنما لغاية جليلة عظيمة من وراء هذه المخالفة، قال – تعالى- حكاية عن شعيب عليه السلام **﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإصلاح مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾** [هود:٨٨] .

وقد بيَّن –سبحانه- أنّ صدق الإرادة في توجهها إليه وتخلّصها من كل العوائق والعوارض يُعّد أكبر العوامل في استجلاب التوفيق والتأييد الإلهى كما في قوله -تعالى-في الآية السابقة **﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾** فجاء ذكر التوفيق الإلهي متعقبا لذكر إرادة الإصلاح الصادقة .

ونظير هذه الإرادة الصادقة ما ورد في شأن البناء الاجتماعي السليم عند حديث القرآن عن الرابطة الزوجية والميثاق الغليظ ،وما يتطلبه صدق ذلك الميثاق من إرادة إصلاح خالصة، قال تعالى: **﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحاً﴾** [البقرة:٢٢٨] ، فقد جعل الله – تعالى- الشرط في إباحة إرجاع الرجل لمطلِّقته هو توفر إرادة الإصلاح عنده ، وهذه الإرادة صفة باطنة لا اطلاع للناس عليها ، فإن كانت بقصد المضارة وليس بقصد الإصلاح استحق فاعلها الإثم[(١)]،ويؤيد ما سبق حديث القرآن عن إرادة الإصلاح بين الزوجين في قوله تعالى: **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾** [النساء:٣٥] ، إذ تضمنت الآيات بيان الأصل في الحَكَمين وهو صلاح النية بتوفر إرادة الإصلاح الصادقة ، فإنْ صلحت صلحت الحال كلها ، واستقامت الأفعال وقُبلت [(٢)] .

ومن مجالات النية التي عرضها القرآن الكريم ما دلت على فساد سرائر أصحابها ، وخبث طواياهم ومن هذه المجالات ما يلي :-

١ - إرادة الاعوجاج والميل والانحراف :

أخبر الله _سبحانه _ عن حال فريق من الناس اجتمعت لديهم خصال مذمومة ، تمثلت في الكذب على الله _تعالى_ والصد عن سبيله ، والكفر بالآخرة ، وهؤلاء أرادوا قلب الحقائق فاجتهدوا في ميل سبيل الحق ليساير أهواءهم الباطلة ، وأغراضهم الفاسدة فترتب على ذلك

---

(١) انظر:تفسير الرازي المجلد الثالث(٩٤/٦).

(٢) انظر : تفسير أحكام القرآن لأبى بكر محمد بن عبد الله ابن العربي (٤٢٦/١) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخسران المبين في الدارين ، قال _تعالى_ مظهراً فساد نية هؤلاء ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾ [لأعراف:٤٥] .

وتعدّ إرادة الاعوجاج لسبيل الحق المستقيم علامة مميزة لأهل الكفر لا تكاد تنفك عنهم ، والذي يؤيد ذلك ورود الفعل بصيغة المضارع في سائر الآيات التي تحدثت عن هذه الإرادة السيئة كما في قوله تعالى: **﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾** [ابراهيم:٣] وقوله سبحانه ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾ [لأعراف:٤٥] .

كما أخبر عز وجل عن أهل الكتاب اتصافهم بهذه الإرادة الباطلة ، كونهم لم ينتفعوا بآيات الله وحججه التي أقامها عليهم ، وبَيَّن _سبحانه_ أنهم حريصون على إضرار المؤمنين يريدون ردّهم إلى الكفر بعد الإيمان ، ويريدون انحرافهم بعد تبين سبيل الاستقامة [١] وقد جاء ذلك في قوله تعالى: **﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ، قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾** [آل عمران:٩٨،٩٩] .

ومن جملة إرادة الميل والانحراف ما أخبر الله_ تعالى_ به عن حال الذين يَتَّبعون الشهوات في قوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾** [النساء:٢٧] .فإن المقصود من التعرض لإرادة الذين يتبعون الشهوات تنبيه المسلمين إلى دخائل أعدائهم ليعلموا الفرق بين مراد الله من خلقه ، ومراد أهل الشهوات ، فهم يريدون لأهل الإيمان أن ينصرفوا عن الحق كل الانصراف ويميلوا عنه إلى المعاصي ميلاً يتعذر معه الرجوع واستقامة الحال[٢] ويُذكر في هذا المقام أنَّ إرادة الميل العظيم من أصحاب الشهوات تجسد ما يريده الشيطان من أوليائه ، فيدخل في هذا المفهوم تزيين الباطل في أعين أهله ، والتنفير من الحق ، وتيسير سبل الضلال ، قال تعالى **﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾** [النساء:٦٠].

---

(١) انظر : تفسير السعدي ص١٢٤ .

(٢) انظر : تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور المجلد الثاني (٢١/٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢ - **إرادة الفتنة :-**

جاءت هذه الإرادة الباطلة في بيان القرآن لأمر المنافقين وفضحه لدسائسهم وكشف خبايا نفوسهم كما في قوله تعالى **﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾** [التوبة:٤٧] ، فقد ظهر جلياً خبث نية المنافقين متمثلة في إرادة الفتنة ، قاصدين بذلك اختلال الأمور وفساد الرأي عند المسلمين[١].

كما أرشدت الآيات القرآنية أن هذه الإرادة الخبيثة من المنافقين في إيقاع الفتنة بين المسلمين لا تنحصر في أوقات أو مواضع بعينها ، إنما هي دأب المنافقين في جميع الأزمان والأحوال قال تعالى: **﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾** [التوبة:٤٨] ، وفى ذلك تحذير واضح لأهل الإيمان من وجوب الحذر من المنافقين وإعداد العدة اللازمة لدحض كيدهم وسُوء ما يُبيِّتون ويحيكون .

كما أرشد الله _عز وجل_ إلى نوع آخر من إرادة الفتنة ، تكون من المنافقين والمشركين عند خوضهم في آيات الله بنيّة الإيقاع في الشك والإلحاد ، أو بنيّة موافقة أهوائهم الباطلة ، وقد وصفهم الله _تعالى_ بالزيغ في قلوبهم لما كان مقصدهم مفضياً إلى هذه النتيجة المذمومة ، قال سبحانه: **﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾** [آل عمران:٧]، فإنَّ ابتغاء الفتنة المذكور في الآية أشار إلى نية باطلة هي الإيقاع في الكفر[٢] ذلك أن نية تأويل القرآن عند الذين في قلوبهم زيغ قد تمثلت بحسب الهوى ، فهم يبتغون تأويلاً ليسوا أهلاً له وإنما هو ما وافق أهواءهم الفاسدة[٣].

٣ - **إرادة إطفاء نور الله تعالى :-**

جاءت هذه الإرادة الباطلة في حديث القرآن عن أهل الكتاب وضلال عقيدتهم كونهم لم يستقيموا على العقيدة الصحيحة التي جاءتهم بها كتبهم ، قال تعالى حكاية عنهم: **﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** [التوبة:٣٢] .

وقوله تعالى: **﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** [الصف:٨] ، فالآيتان المتقدمتان أظهرتا إرادة الكفار متمثلة في إبطال الإسلام والكيد له وإضمار كراهية ظهوره، وهم بهذه الإرادة الخبيثة إنما يثبتون إرادة الظلام ، وقد بيّن سبحانه

---

(١) انظر : المرجع السابق المجلد الخامس (٢١٧/١٠) .

(٢) انظر : نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص٤٧٨.

(٣) انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور المجلد الثاني (١٦٢/٣) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

امتناع حدوث مرادهم، وأنّ هذا الدين سيتم بالغاً تمام الانتشار[1] وهذا المعنى بيَّنه النبـــي ﷺ في قوله (إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها)[2].

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٣٤٩/٢) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض رقم (٢٨٨٩) ومعنى (زوى) أي جمع وطوى انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ص٤٠١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الإخلاص

الإخلاص: مسك القلب وحياته ، ورجاء قبول العمل وقوامه، به يطيب الباطن والظاهر، وهو طريق الوصول إلى مرضاة الرب الرحيم، كما يعد الإخلاص مسلكاً عزيزاً، يتطلب من مشمّريه مجاهدة الأنفس ودفع حظوظها، وذلك بمداومة النظر إلى علو الغاية وشرف المراد ونفاسة المرتجى، وفي هذا المبحث بيان لتلك الفضيلة.

المطلب الأول

الإخلاص لغة واصطلاحا

الإخلاص لغةً : مأخوذ من مادة (خلص)، وهو أصل يدل على تنقية الشئ وتهذيبه[١] ، والخلاص ما أخلصته النار من الذهب والفضة ، والخالص من الألوان ما صفا ونصع ، قال تعالى: **﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾** [النحل :٦٦]

والتخليص التنجية من كل منشب وضيق ، وخلص الشئ إذا صار خالصا محضا ، والإخلاص يحمل معنى الوصول ، ومنه خلص الرجل إلى موضع كذا إذا وصل إليه وأخلص الشئ إذا اختاره ، والمخلص الذي وحد الله _ تعالى _ خالصا ومنه سورة الإخلاص لأنها خالصة في صفة الله _ تعالى _ و تقديسه [٢] .

الإخلاص اصطلاحاً : تعريفات العلماء للإخلاص وإن اختلفت ألفاظها إلا أنها متقاربة المعنى، فهي تشير إلى أن الإخلاص هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده[٣] ، ويشمل ذلك تصفية السر والقول والعمل وتخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفاته من رياء وشرك ، ويعد الإخلاص ستر بين العبد وربه ، لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٠٨/٢).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (٢٧/٧).

(٣) انظر : الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي ص٦٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هوى فيميله[1] ، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينه :٥].

المطلب الثاني

الخطاب القرآني للنبي صلى الله عليه وسلم بالإخلاص

جاءت مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم بإخلاص الدين لله _ تعالى _ في ثلاثة مواضع في سورة واحدة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر :٢]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر :١١] وقال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴾ [الزمر :١٤] وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيه بالتبعية كل مؤمن موحد، فالآيات المتقدمة أفادت بوضوح اشتراط الإخلاص في العبادة تناسبا مع النعمة الكبرى المتمثلة في إرسال محمد ﷺ بالحق ، ويتحقق الإخلاص في العبادة بأن يكون الداعي إلى الإتيان بالمأمور وإلى ترك المنهي إرضاء لله _ تعالى _ أي بقصد الامتثال كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [ص :٨٦] كما يدخل في المفهوم السابق إخلاص المؤمن الموحد في عبادة ربه ، بأن يعبد الله لأجله ، أي طلباً لرضاه وامتثالا لأمره سبحانه ، بحيث لا يكون الحظ الدنيوي هو الباعث على العبادة[2].

ويلاحظ عند تأمل المواضع الثلاثة التي سبقت الإشارة إليها، ورودها في سورة واحدة من السور المكية وفي ذلك دلالة على مزيد عناية واهتمام بأمر إخلاص العبادة لله بدءاً من النبي ﷺالذي هو الأسوة الحسنة لكل مؤمن، وبالنظر إلى كون سورة الزمر مكية فإن الفترة المكية أظهرت مزيدا من صور الشرك التي عادت دعوة الدين الخالص .

المطلب الثالث

ارتباط الإخلاص بالعبادة والدعاء

ربط البيان القرآني بين قبول أعمال العباد وبين كونها خالصة لوجه الله _ تعالى _ وابتغاء مرضاته ، ونهى عن الشرك بكل صوره ، بل جعل رجاء لقائه _ سبحانه _ هو صلاح

---

(١) انظر : إحياء علوم الدين للغزالي (٣٨٢/٤).

(٢)انظر : تفسير ابن عاشور المجلد التاسع(٣١٨/٢٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأعمال مع خلوصها من أدنى شائبة تصرفها عن شرف الغاية العظيمة، قال تعالى: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف :١١٠] وقد بينت الآيات القرآنية في حديثها عن الإخلاص ملامح مهمة يمكن عرضها كما يأتي :-

أولا : دعوة القرآن إلى إخلاص الدين لله سبحانه :

ارتبط ذكر عبادة الله _ تعالى _ والدينونة له في القرآن الكريم ارتباطا وثيقا بالإخلاص، وردّ سبحانه كل عبادة مصروفة لغيره ، قد حبط أجر فاعليها وباءوا بالخسران المبين ، قال تعالى:﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴾ **[الأعراف :٢٩]** ، ذلك أن نهج القرآن قائم على الاستقامة في هذه العبادة ، ولا تتحقق هذه الاستقامة إلا بصحة المسار إلى الغاية المتمثلة في الإخلاص لله _ تعالى _ فإنه _ سبحانه _ لا يتقبل العمل حتى يجمع ركيزتين:

الأولى : أن يكون صوابا موافقا للشريعة.

الثانية : أن يكون خالصا من الشرك .[١]

وقد جاءت دعوة القرآن إلى إخلاص الدين لله _ تعالى _ في سياق التذكير بالنعم وما أفاضه سبحانه على الناس من الرزق ، مما يعد من أهم عوامل التذكير بالإنابة[٢] إلى الله _ تعالى _ قال عز وجل : ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاء رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ* فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ **[غافر :١٣_١٤]**.

كذلك جاء الإخلاص في القرآن مرتبطا بذكر صفات الله _ تعالى _ وأسمائه الحسنى، فيدلالة واضحة على علو شأن الإخلاص ، وأن صفات الكمال لله _ سبحانه _ تستوجب من المخلوق إخلاص الدين كله له[٣] قال تعالى: ﴿**هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ **[غافر :٦٥]**.

ثانيا : الإخلاص في اليسر والعسر :

جاء ذلك في مواضع ثلاثة من الكتاب الحكيم ، أظهرت بجلاء أن فضيلة الإخلاص لا بد من تحققها في سائر أحوال العباد ، لا تخص بحال وزمان دون آخر ، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ**

---

(١) انظر : تفسير الظلال لسيد قطب (١٢٨١/٣).

(٢) انظر : تفسير ابن عاشور ، المجلد التاسع (١٠٤/٢٤).

(٣) المرجع السابق، ص١٩٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَه الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيرِ الحق يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الحياة الدنيا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس :٢٢-٢٣].

ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى: **﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾** [العنكبوت :٦٥]، وكذلك قوله سبحانه: **﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البر فمنهم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان :٣٢].**

فالمواضع الثلاثة المتقدمة أقرت حصول الإخلاص في مقام خاص هو مقام الشدة والكرب حتى إذا زالت أسباب البلاء والمحنة رجع الناس إلى بغيهم وشركهم وجحودهم، وليس هذا فعل المؤمن المخلص لربه ، إذ إنّ الله -عز وجل- قد ألزم عباده الإخلاص له في حالة الشدة والرخاء والعسر واليسر ، فهو _ سبحانه _ مفرج الكروب مهون الخطوب ينبغي إخلاص العبادة له في الرخاء كما الشدة [١] .

ثالثا : علاقة الإخلاص بإيمان أهل الكتاب وتوبة المنافقين :

جعل الله _ عز وجل _ تحقق الإخلاص علامة على صدق توبة المنافقين ، تبين مدى إصلاح الظواهر والبواطن وصدق الالتجاء ، قال تعالى: **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * لاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ١٤٥ – ١٤٦]**

فقد أثبت القرآن الكريم أنه يستدل على صدق توبة المنافقين بحصول الإصلاح والاعتصام بالله وإخلاص الدين له _ سبحانه _ وذلك لكون الإخلاص منافيا كل المنافاة للنفاق إذ تتوقف عليه الأعمال الظاهرة والباطنة[١] ، كذلك أخبر الله _ تعالى _ أن الأمر بإخلاص العبادة قد شمل كذلك أهل الكتاب ، وذلك لأن دين التوحيد الخالص جاءت به جميع الشرائع وأثبتته سائر الكتب ، قال تعالى عن أهل الكتاب : **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء ﴾ [البينة : ٥]**

---

(١) انظر : تفسير السعدي ص ٣٤٠.

(٢) انظر : المرجع السابق ص١٩٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع

المخلِصون والمخلَصون

جاء التعبير القرآني في حديثه عن فضيلة الإخلاص على ذكر حالين من أحوال العباد تبيـــان مدى تحقق إخلاصهم ، فتارة عبر القرآن بقوله (مخلصاً) وقوله (مخلَصين) بفـــتح الـــلام فيهما وتارة بقوله (مخلِصا) وقوله (مخلِصين) بكسر اللام فيهما ويمكن للمتأمل في ورود هاتين المفردتين في الآيات الكريمة التوصل إلى عدة أمور منها :

أولا : تعلق قوله تعالى (مخلِصا) و(مخلِصين) بكسر اللام بمسألة الـــدعوة إلـــى العبـــادة وإخلاص الدين لله ، سواء كان ذلك في مخاطبة القرآن للنبي ﷺ كما في قوله تعالى: **﴿إِنَّـــا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾ [الزمـــر :٢]**،أوفـــي بيـــان القرآن لحال من أخلص في العسر دون اليسر كما في قوله تعالى: **﴿ وظَنُّوا أَنَّهُم أُحِيطَ بِهِـــم دَعَوا الله مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾** [يونس:٢٢] أو كان في بيـــان أمـــر المنـــافقين عنـــد تـــوبتهم واعتصامهم بالله كما في قوله تعالى: **﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْـــلَحُواْ وَاعْتَـــصَمُواْ بِاللّـــهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَـــئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء :١٤٦]**، أو كـــان فـــي عمـــوم مخاطبة القرآن للناس بوجوب إخلاصهم في دينهم وعبادتهم لله كمـــا فـــي قولـــه تعـــالى: **﴿ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [الأعراف : ٢٩]**.

ثانيا : ورود قوله تعالى (مخلصاً) و(مخلَصين) بفتح اللام في سياق الوصف البحـــت فـــي بيان القرآن لحالات مخصوصة بعينها، ومثال ذلك ما جاء في وصف نبي الله موسى -عليـــه السلام- في قوله تعالى: **﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَـــانَ رَسُـــولًا نَّبِيًّا﴾** [مريم : ٥١]. أو ما جاء في وصف نبي الله يوسف -عليه الـــسلام- فـــي قولـــه تعالى: **﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْـــهُ الـــسُّوء وَالْفَحْـــشَاء إِنَّـــهُ مِـــنْ عِبَادِنَـــا الْمُخْلَـــصِينَ ﴾** [يوسف : ٢٤] أوفي وصف القرآن للناجين من إغواء إبليس كما في قوله تعالى: **﴿قَـــالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِـــينَ* إِلاَّ عِبَـــادَكَ مِـــنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر : ٣٩-٤٠]** .

ثالثا : اشتمال سورة الصافات على خمسة مواضع لقوله (مخلَصين) بفـــتح الـــلام جميعهـــا أشارت إلى أن المخلَص وهو من اختصه الله برحمته وأخلصه لنفسه ، هو كذلك فـــي منـــأى من عذاب الله تعالى وحلول عقوبته ، قال عز وجل: **﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ* وَمَـــا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَـــصِينَ﴾**[الـــصافات : ٣٨ _ ٤٠] ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال سبحانه في نفس السورة: **﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات : ٧٣ _ ٧٤].**

رابعا : المخلَصون قد خصهم القرآن بصفات عظيمة فهم في منأى من إغواء إبليس إذ ليس له عليهم من سبيل ، والذي يؤيد ذلك مجئ الاستثناء من الإغواء في سائر الآيات التي تحدثت عن توعد إبليس للناس بالغواية في قوله تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾** [الحجر :٣٩-٤٠] وقال سبحانه: **﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ،إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص:٨٢-٨٣].**

وهم كذلك مَن يُصرف عنهم السوء والفحشاء ، قال تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام: **﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف : ٢٤].**

خامسا : ثبوت القراءة بالكسر في قوله (مخلِصين) يُفهم منه علاقة العموم والخصوص في هذه اللفظة القرآنية، إذ كل مخلَص اختصه الله برحمته وأخلصه له لا بد أن يكون مخلِصا قبل ذلك، فإخلاص الله للعبد يشمل تحقق إخلاص العبد لله سبحانه وإنما أخلصهم الله تعالى لإخلاصهم[1].

سادسا : بلغ عدد الآيات المكية المشتملة على لفظة الإخلاص أو أحد مشتقاتها ثماني عشرة آية في حين بلغ عدد الآيات المدنية المشتملة عليها ثلاث آيات ، وهذا يشير بوضوح إلى مدى عناية القرآن المكي ببناء النفوس وتصحيح الاعتقاد .

---

(١) انظر : تفسير السعدي ص٤١٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

الصدق

يُعدُّ الصدق روح الدين ، ولباب العبادة ، وأساس الالتجاء إلى الله تعالى ، وهو درب يسلكه الناجون، به يميز الله الخبيث من الطيب ، والمنافق من المؤمن ، وبسلوكه تُنال أرفع الدرجات عند الله – تعالى – وفيما يلي بيان لهذه المنزلة العظيمة .

المطلب الأول

تعريف الصدق لغة واصطلاحا

الصدق لغةً : من مادة (صَدَقَ)، وهو أصل يدل على قوة في الشئ قولا وغيره ، والصدق خلاف الكذب ، سمي بذلك لقوته في نفسه ولأن الكذب لا قوة له ،والصّديق الملازم للصدق ، ومنه صَدَاق المرأة ، سمي بذلك لقوته وأنه حق يلزم ، والصداقة مشتقة من الصدق في المودة[١].

الصدق اصطلاحاً : ذكر العلماء في تعريفهم للصدق ما يدل على أن هذه الفضيلة ، تتعدد في مجالاتها فتشمل صدق الأقوال ، وصدق الأفعال ، وصدق الأحوال ، فقالوا إنّ الصدق كل خبر مخبره على ما أخبر به [٢] ، وهو كذلك مطابقة القول لضمير المخبر عنه [٣] ، بحيث يستوي السر مع العلانية ، فالصدق في الأقوال : استواء اللسان على الأقوال ، والصدق في الأعمال : استواء الأفعال على الأمر، والصدق في الأحوال والاعتقادات : استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص[٤].

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس(٣٣٩/٣) مادة (صدق).

(٢) انظر: الكليات للكفوي ص٥٤٣.

(٣) انظر : فتح الباري لابن حجر(٥٩٣/١٠).

(٤) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢٠٧/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويلاحظ من مفهوم الصدق مدى ارتباطه بالإخلاص ، وتوقفه عليه ، إذ لا يُتصور أن يكون المرء مخلصا ولم يتوفر لديه صدق النية ، كما لا يتصور أن يكون صادقا ولم يتحقق إخلاصه وقصده وجه الله _ تعالى _ دون سواه .

المطلب الثاني

ارتباط الصدق بالله تعالى

أخبر الله – تعالى – في كتابه العزيز عن صدق وعده ، وأنه يتحقق وقوعه وفق ما أخبر به وذلك في مخاطبته للمؤمنين ، وتذكيره لهم بفضله وإنعامه عليهم بتحقيق النصر على الكافرين .

قال تعالى : **﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُمَّا تُحِبُّونَ ﴾** [آل عمران : ١٥٢].

كما بين _ تعالى _ صدق وعده لرسله ، وتحقق ما وعدهم به من حدوث النجاة والسعادة لهم ولأتباعهم كما في قوله تعالى: **﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاء وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾** [الأنبياء : ٩] ، وقوله تعالى: **﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب :٢٢]**.

كذلك أخبر القرآن عن حال المؤمنين يوم القيامة إذا منّ عليهم ربهم بدخول الجنة ، فإنهم يحمدونه على ما صدقهم به من وعد بدخولها على ألسنة رسله ، فوفّى لهم بما وعدهم وأنجز لهم ما منّاهم قال تعالى: **﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾** [الزمر : ٧٤]

وقد أثبت القرآن الكريم درجة الصدق التي لا تعلوها درجة ، في بيانه للخبر المتلقّى عن الله سبحانه، وأن ما يخبر به هو الحق والصدق بعينه ، فلا يوجد من الأخبار ما يضاهيه في مصداقيته قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً﴾** [النساء : ١٢٢] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما وصف الله _ عز وجل _ كتابه العزيز بالصدق في الإخبار ، والعدل في الأمر والنهي ، حيث تم له الحفظ والإحكام بأعلى أنواع الصدق [1] ، قال تعالى: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [الأنعام : ١١٥]

كما ثبت في القرآن الكريم صدق حكم الله _ تعالى _ فيما يشرعه من أحكام ، مثال ذلك تحريمه _ سبحانه _ بعض الطعام على أهل الكتاب عقوبة لهم على بغيهم وظلمهم وتفريطهم في حقوق الله وحقوق عباده ، قال عز وجل: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** ﴾ [الأنعام : ١٤٦].

المطلب الثالث

صدق الرسل عليهم السلام

الصدق من أهم ما يتصف به رسل الله تعالى ، فهم صفوة البشر الذين استأمنهم الله _ سبحانه _ على وحيه وكتبه ، الصادقون في أنفسهم ومع مَن سواهم ، وقد أخبر الله _ عز وجل _ في كتابه الحكيم عن نبيه يوسف -عليه السلام- أنه بلغ في الصدق كل مبلغ حتى سمي صدِّيقا ، قال تعالى ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ [يوسف : ٤٦] .

ودرجة الصديقية هي أعلى درجات الصدق ، وصاحبها تحقق لديه صدق القلب واللسان والجوارح مع كمال الانقياد لله ورسوله ، فيكون من الذين جاءوا بالصدق [2] ، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ **[الزمر : ٣٤]**.

كما وصف _ سبحانه وتعالى _ نبيه إبراهيم _ عليه السلام _ بأنه كان صديقا في قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا** ﴾ [مريم : ٤١] .

وذلك لفرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله[3] ، ونظير ذلك ما أخبر به القرآن عن نبي الله إدريس _ عليه السلام _ في قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ**

---

(١) انظر : تفسير السعدي ص٢٤٩.

(٢) انظر : مدارج السالكين لابن القيم (٢٠٧/٢) .

(٣) انظر: تفسير الكشاف للزمخشري (١٠٧/٣)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم : ٥٦]، وأثنى الله _ تعالى _ على نبيه إسماعيل _ عليه السلام لصدقه في وعده ، فقال عز وجل: **﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾** [مريم : ٥٤] وذلك تشريفا وإكراما له .

المطلب الرابع

الدعوة إلى الصدق في القرآن الكريم

أمر الله _ سبحانه _ أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين ، وخص المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، فقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾** [التوبة : ١١٩] . وقال تعالى: **﴿ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ ﴾** [النساء : ٦٩] وذلك لعلو رفقتهم كما في قوله: **﴿وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا ﴾** [النساء :٦٩].

والله تعالى تفضل على أهل الصدق بإنعامه وإحسانه وتوفيقه ، فجل لهم مرتبة المعية معه، ولهم منزلة القرب منه ، إذ ذكرهم القرآن ثاني درجة النبيين [١] ، كما أخبر الله _ تعالى _ أن الصدق معه سبحانه أفضل ما للعبد ، فقال: **﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾** [محمد : ٢١] وذكر القرآن الكريم أهل البر وأثنى عليهم بأفضل أعمالهم من الإيمان والإسلام والصدقة والصبر بأنهم أهل الصدق فقال: **﴿وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾** [البقرة : ١٧٧]، وهذا يدل دلالة واضحة على ارتباط الصدق بالإيمان والإسلام وأنه يتحقق في الأعمال الظاهرة والباطنة .

كما قسم الله _ تعالى _ الناس قسمين : فريق مؤمن وفريق منافق فقال تعالى: **﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾** [الأحزاب : ٢٤] .

---

[٢] انظر : مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ٢٠٧)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالصدق أساس الإيمان والكذب أساس النفاق ، فكما لا يجتمع الإيمان والنفاق ، كذلك لا يجتمع الصدق والكذب[١] ، وليس للإنسان شئ أنفع من صدقه مع ربه في جميع أموره، لأن في ذلك نجاته وسعادته ، وهذا المعنى بينه النبي ﷺ في قوله (إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا) [٢].

فالحديث جعل الصدق مفتاح الصديقية ومبدأها ، فلا ينال درجتها كاذب في قوله أو فعله أو حاله ، كما بين النبي ﷺ أنّ صدق المتبايعين يحل البركة في بيعهما ، وكذبهما يمحق هذه البركة فقال (البَيِّعان بالخَيار ما لم يفترقا ، فإن صَدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما)[٣].

وقد جعل القرآن الكريم الصدق علامة تمييز وتمحيص للناس عند حدوث البلاء والاختبار ، فيثبت المؤمن الصادق وينكشف الكاذب ، ذلك أنَّ المؤمن يعلم أنَّ زمن البلاء ضيفٌ قِرَاه الصبر، أما الكاذب فلا يملك من الزاد ما يقوته عند البلاء ، قال تعالى: **﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾** [العنكبوت :٢-٣] .

ومن أعظم علامات الصدق ودلائله في القرآن الكريم ، الإيمان الذي لا تخالطه ريبة ، والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس ، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾** [الحجرات : ١٥] .

كما أثنى الله _ سبحانه _ على عباده الذين أوذوا في سبيله ، والذين هجروا ما تحبه أنفسهم من الديار والأوطان والأموال ، رغبة في الله ونصرة لدينه أنهم هم الصادقون ، الذين عملوا

---

(١) انظر: مدارج السالكين(٢/٢٠٧).

(٢) انظر: صحيح البخاري كتاب الأدب باب قوله تعالى(يا أيها الذين امنوا اتقوا الله) ح(٦٠٩٤) ص١١٧٧.

(٣) صحيح البخاري كتاب البيوع باب ما يمحق الكذب والكتمان في البيع ح(٢٠٨٢) ص٣٩٣ والمحق: النقص والمحو والابطال انظر النهاية في غريب الحديث ص٨٨٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بمقتضى إيمانهم وصدَّقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة ، قال تعالى: ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ [**الحشر** :٨] . وقد تعلق الصدق في القرآن بخمس مقامات بيَّنت أنَّ الصدق حق ثابت متصل بالله _ تعالى _ موصل إليه ، وهو ما كان به وله من الأقوال والأعمال ، وجزاء ذلك في الدارين[١] ، قال تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا** ﴾ [**الإسراء** :٨٠].
وأخبر عن خليله إبراهيم _ عليه السلام _ أنه سأله أن يهب له لسان صدق في الآخرين فقال: ﴿**وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ** ﴾ [الشعراء : ٨٤]. فامتن _ سبحانه _ عليه وعلى الصالحين المرسلين فقال: ﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا**﴾ [مريم : ٥٠] ، وبشر عباده بأن لهم عنده قدم صدق ومقعد صدق ، فقال تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾ [**يونس** : ٢] وقال: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ** ﴾ [القمر :٥٤-٥٥].
فالآيات السابقة ذكرت مقامات رفيعة للصدق والصادقين هي : مدخل الصدق ، مخرج الصدق ، لسان الصدق ،قدم الصدق، مقعد الصدق ٠ وهذه المواضع الخمسة تجتمع على حسن العاقبة وعظيم العطاء ، فالمدخل والمخرج يشيران إلى البدء والانتهاء في كل شئ ، فإذا كان البدء والختام بالله و في سبيل الله وابتغاء مرضاته كانت العاقبة عظيمة، وكذلك لسان الصدق هو الثناء الحسن على أهل الصدق ، وقدم الصدق تشمل ما قدمه الناس من عمل صالح أسوة بالنبي ﷺ وإيماناً به ، فَيَقدمُون على الله _ تعالى _ يوم القيامة لينالوا الجنة جزاء ذلك وأما مقعد الصدق فهي الجنة عند الله تبارك وتعالى[٢].

---

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم (٢٠٨/٢).
(٢) انظر: تفسير الكشاف للزمخشري (٣٤٧/٢) ، وانظر تفسير السعدي ص٤٧٢، وانظر مدارج السالكين لابن القيم(٢٠٩/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس

ثواب الصدق يوم القيامة

بين الله _ تعالى _ عظيم العقبى التي جعلها على الصدق ، وثواب الصادقين يوم القيامة ، كما بين سوء مرد وعاقبة المكذبين ، قال تعالى: ﴿ **قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ المائدة : ١١٩]، وقال سبحانه: ﴿ **لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ **الأحزاب** : ٨]، فجزاء الصادقين عند الله تعالى من جنس عملهم ، قال عز وجل: ﴿**لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [**الأحزاب** : ٢٤].

وفي مقابل جزاء الصادقين يوم القيامة ذكر _ سبحانه _ ما يلحق المكذبين من سوء المثوى فتسوء وجوههم بسبب كذبهم على الله تعالى _ فقال: ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾ [**الزمر** : ٦٠].

كما اشتملت سورة المرسلات على عشرة مواضع توعَّد الله _ تعالى _ فيها المكذبين بالهلاك والعذاب الشديد ، وذلك في الآية الكريمة التي تكررت عشر مرات في هذه السورة فقال تعالى: ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ** ﴾ [**المرسلات** : ١٥].

ويجدر البيان في نهاية الحديث عن الصدق أن هذه الفضيلة تُعَدُّ مغنما عظيما لا يخسره إلا مَن ظلم نفسه ، فالله _ تعالى _ يُعطي مَن صَدَقَه في جميع أموره فوق ما يُعطي غيره مِن الناس ، وفي ذلك بالغ الحض لكل مؤمن أراد وجه الله _ تعالى _ على التزام الصدق ما حيي حتى يلقى الله عز وجل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

العيش في ربوع القرآن صفو لا يعرف الكدر، وتذوق معانيه زاد أولى النظر، والانتفاع بأخباره عبرة لمن يعتبر، وقد عشت مدة بحثي أتفيأ وارف ظلاله، وأستشعر سمو جلاله، قد برئت من حولي وقوتي، إلى حول المولى وتوفيقه وكلئه ، زادي في ذلك توكلي عليه ، وحسن ظني به ، ثم انتفاعي بسير السالكين السالفين ، الذين أقبلوا على القرآن إقبالا بانت منه حظوظ النفس، وخلصت فيه الهمم إلى غاية علية ، تضاءلت عندها كل ما أقبلت به الدنيا من الأعراض الزائفة .

والله أسأل إن لم يسعفني في هذا البحث مزيد الأسطار أن يجمله بقيم المعاني والأفكار وإن تخلف فيه جهد البنان وحسن البيان أن يشد أزره بصدق النية وجميل التكلان، إنه قريب مجيب منان .

وأخلص في هذا المقام إلى جملة نتائج وتوصيات أبرزتها صفحات البحث ثم أردف ذلك بملخص له .

أولا : النتائج :

١. عمل القلب أصل بنى عليه القرآن سائر أعمال العباد، فربط صلاحها بصلاحه، وفسادها بفساده .
٢. استواء السر والعلانية واحد من المطالب العالية التي حث عليها القرآن ، وجعلها سببا للفوز في الدارين .
٣. صلاح أعمال الخفاء ونقاؤها مما يشوبها من العوائق ، هو السبيل لرفعة عمل العلانية وهو الطريق لتحقيق التمكين في الأرض ، وحصول علو المكانة والمنزلة ، التي يحرص كثير من الناس على تحقيقها بغير أداتها ، ويمتطي إليها غير مطيتها .
٤. ارتباط السر بصفات الكمال لله عز وجل، كصفة العلم وصفة السمع والبصر، وفي ذلك إشارة إلى عناية القرآن ببناء النفوس وتربيتها على المراقبة والتقوى وخشية الله _ تعالى _ في السر والعلانية.
٥. عناية القرآن الكريم بسلامة القلب وكمال إنابته لله _ تعالى _ وضرورة نقائه من الأمراض والآفات التي تفسد معها أعمال الجوارح ما ظهر منها وما بطن .
٦. تحذير الآيات القرآنية من الرياء ، والتأكيد على بطلان عمل المرائين ، وعدم قبوله عند الله تعالى .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧. تأكيد القرآن على ذم اتباع هوى الأنفس ، وبيان سوء عاقبته من تجاوز حد الهدى ، وبلوغ مهاوي الضلال والردى في الدنيا والآخرة .

٨. عرض القرآن الواسع لمسألة النفاق والمنافقين ، والتذكير الدائم باطلاع الله _ تعالى _ على السرائر والضمائر ، وترتيب الوعيد الشديد على ذلك يوم القيامة .

٩. الحديث عن الدنيا في القرآن الكريم له سمة خاصة ، يفهم منها سرعة الانقضاء ، وضرورة استغلالها لدار البقاء ، والحذر الشديد من جعلها أكبر الهمم أو مبلغ العلم ، أو إيثارها على الآخرة.

١٠.النية في القرآن أصل وعماد ، قامت على أساسه سائر أعمال العباد ، وترتب عليه قبولها عند الله تعالى ، فثبت في القرآن أجر أعمال لم تكن ظاهرة ، في حين حبطت أعمال عظيمة عند فساد باعثها .

١١. الصدق والإخلاص من المنازل العالية التي جعل القرآن ثمن بلوغها هو صدق التوجه وحسن الالتجاء وتمام الإنابة والتسليم .

ثانيا : التوصيات :

١. الباحثون في درب العلم قوم سيارة ، يرسلون واردهم وينتظرون البشارة وينبغي لباحث القرآن إن أراد عظيم بشارته ، أن يجعل دلوه إليها جميل إخلاصه ، وصدق نيته وإنابته .

٢. إن شرف العلم إنما يكون بشرف المعلوم ، وإذا كان ذلك هو كتاب الله عز وجل فلابد لباحثه من ارتداء لأمته ، والاكتساء بكسوته ، إذ لا ينال ثمين صيده إلا بسهام التوكل والرجاء .

٣. لا بد لبناة النفوس من إعداد العدة ، فإن عمل الجوارح يتبع عمل القلوب ، ومن سلامة البنيان الاعتناء بقوة أساسه ، خصوصا في زمان تهاوت فيه معاول النقض إلى صرح الأمة .

٤. من لوازم الإقبال على كتاب الله تعالى ، الإقبال على لغته، إذ تمثل مفتاح فهمه ومدخل تدبره ، وأولى الناس بذلك هم الباحثون فيه ، لذا أرى من الأهمية أن يكون لعلوم اللغة العربية نصيب في مواد الدراسات القرآنية العليا .

٥. كثير من موضوعات هذا البحث تحتاج إلى البسط والتوسيع، إذ بالإمكان إفراد بحث خاص لكل موضوع منها، إنما اكتفيت فيها بالتلميح عن التصريح، وبالإشارة عن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العبارة ، وما ذلك إلا لضعف همتي ، وعجز منتي عن بلوغ تلك المشارف العالية ، والمطالب السامية .

٦. البحث في القرآن الكريم يتطلب قبل كل الأمور التعرض لنفحاته ، وتذوق معانيه وتلمس بركته ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بنقاء السريرة وسلامة الطوية .

ثالثا : ملخص البحث :

يدور هذا البحث حول موضوع السرائر ، وهو _ في نظري _ خالص لباب الأمر ، وحاجة الله من البشر ، والحديث فيه على محاور أربعة:

الأول : تعريف السريرة لغةً واصطلاحًا ، مع استعراض لعمل الباطن في الكتاب الحكيم وتتبع ورود اللفظة ومشتقاتها فيه ، والتعرض لإسرار الأنبياء عليهم السلام ، كذلك تتبع لمجالات الإسرار وارتباطها بصفات الله تعالى .

الثاني : آفات السريرة وأدوائها وما تقبح به من اتباع مذموم للهوى ، وإيثار الدنيا على الآخرة ، والاصطباغ بالرياء والتصنع والسمعة .

الثالث : ذكر ضروب من أعمال السريرة بين المذموم والمحمود ، ليستبين المؤمن سبيل النجاة من الهلاك إذ بضدها تعرف الأشياء .

الرابع : سبل زكاة السريرة وطرق نقائها متمثلة في سلامة النية والتحلي بالإخلاص والصدق .

وختاما أقول :

هذا بياني قاصد أبغي به ... وجه الإله المنعم المنان

فإذا لمست به نقائص عدةً ... كانت سبيل النفس والشيطان

وإذا لمست فضيلة لا حت به ... فاعلم يقينا منة الرحمن

والحمد لله على آلائه ... ما زان شدو طيبة الأفنان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفـــهـــــارس

أولـــاً : فهرس الآيات القرآنية

ثانيـــاً: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثـــاً: فهرس الأعلام

رابعـــاً: فهرس المراجع

خامساً: فهرس الموضوعات

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

أولاً: فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة البقرة		
١	L C B A @ ? > = < ; M	٨	٨٣
٢	L K J I H M	٩	٨٣
٣	L X W V U T S M	١٠	٨٢،٦
٤	L g f e d c b a M	١١	٨٣
٥	L t s r q p o n m M	١٢	٨٣
٦	L { z y x w v u M	١٣	٨٣
٧	L H G F E C B A @ M	٢٥	٥٨
٨	L z y x w v M	٣٤	٦٢
٩	M ۞ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ L	٣٦	٥٢
١٠	L e d c b M	٤٢	٦٩
١١	M إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ L	٦٩	٦
١٢	L l k j i h g M	٧٤	١٠
١٣	L *) (' & % $ # " ! M	٧٧	٧
١٤	L 5 4 3 2 1 M	٨٥-٨٦	٥٤
١٥	M © جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ¶ L	٨٧	٣٨
١٦	L : 9 8 7 6 5 4 3 2 M	١٢٠	٤٠
١٧	M ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ L	١٤٠	٦٩
١٨	L 4 3 2 1 0 M	١٥٥	٣١
١٩	L 0 / . - , + * ! M	١٧٧	١٠٤
٢٠	M وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى © لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ L	١٧٩	٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢١	L t s r q p M	٢٠٧	٩٠
٢٢	M إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ L	٢١٨	٩٢
٢٣	L a ` _ SM	٢٢٨	٩٣
٢٤	L N M L K M	٢٣٥	، ٩،٢٨
٢٥	M يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ´ µ ¶ ¸ L	٢٦٤	،٤٦، ٤٨
٢٦	L $ # " ! M	٢٦٥	٨٩
٢٧	L 6 5 4 3 2 M	٢٧١	٢٦،٢
٢٨	L X W V U T M	٢٧٢	٨٨،٨
٢٩	L ' _ ^] \ [Z M	٢٧٢	٨٨
٣٠	M ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴿٢٧٤﴾ L	٢٧٤	١١،٢
	سورة آل عمران		
٣١	L y x w v u M	٧	٩٣
٣٢	L s r q p M	١٤	٥٨
٣٣	M قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ ´ L	٩٨-٩٩	٩٣
٣٤	L K J I H M	١٠٣	٣٣
٣٥	M يَوۡمَ تَبۡيَضُّ © وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ L	١٠٦	٣١
٣٦	L 7 6 5 4 3 M	١٣٤	١٠،٥
٣٧	L k j i h g f M	١٣٧	٧٣
٣٨	L O N M L M	١٥٢	٩٠
٣٩	L Q P O N M L M	١٦٠	٤٠
٤٠	L l k j i h g M	١٦١	٣١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سورة النساء			
٤١	M ! " # $ % L	٢٧	٩٤
٤٢	M N O P Q L	٣٥	٩٣
٤٣	M ! " # $ L	٣٨	٤٦
٤٤	M 9 : ; < = > ? L	٦٠	٩٤
٤٥	M I J K L L	٦٩	١٠٤
٤٦	M K L M L	٨٢	٧٥
٤٧	M : ; < L	١٠٨	٧٢
٤٨	M ! " # $ % & ' L	١١٤	٢٣،٩١
٤٩	M 3 4 5 6 7 8 L	١٢٢	١٠٢
٥٠	M وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ L	١٣٤	٣٧
٥١	M : ; < = > L	١٣٥	٣٨
٥٢	M H I J K L	١٤٢	٤٥
٥٣	M إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ ﴿١٤٦﴾ L	١٤٦	٩٩
٥٤	M يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ ´ µ L	١٧٤	٥
سورة المائدة			
٥٥	M b c d e f g L	٤٨	٣٨
٥٦	M ! " # $ % & ' L	٥١	٨٤
٥٧	M R S T U V W X Y L	٥٢	٨
٥٨	M لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ L	٨٩	٦
٥٩	M قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ L	١١٩	١٠٦
سورة الأنعام			
٦٠	M ! " # $ % & L	١	٢٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦١	L G F E DC B M	٣	١٩
٦٢	L / . - , + M	١١_١٠	٧٣
٦٣	M ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ L	٥٩	٢١
٦٤	L f e d c b a ` _ M	٧١	٤٠
٦٥	M وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَـٰرَهُمۡ L	١١٠	٧٩
٦٦	L Y X W V U T S M	١١٣	٧٩
٦٧	L ۚ ~ }	{ z M	١١٥	١٠٢
٦٨	L j i h g M	١٢٢	٣٩
٦٩	L % $ # " ! M	١٢٥	٧٦
٧٠	L ¸ ¶ µ ´ M	١٤٦	١٠٣
	سورة الأعراف		
٧١	L ' & % $ # " ! M	١٢	٦٢
٧٢	M وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ L	٢٩	٩٧،١
٧٣	L D C B A @ M	٤٥	٩٣
٧٤	L { z y x M	٥٥	٢٧
٧٥	L A @ ? > = < M	٧٦_٧٥	٦٧
٧٦	L (' & % $ # " ! M	٨٨	٦٧
٧٧	L A @ ? > = < ; : 9 M	٨٩	٦٧
٧٨	M وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ L	٩٥	١٠
٧٩	L J I H G F M	١٤٦	٦٨
٨٠	L p o n m l k M	١٧٥	٣٤،٤
	سورة الأنفال		
٨١	M } ~ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ L	٧	٤٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨٢	L ; : 9 8 7 6 M	١٠	٤٩
٨٣	L 6 5 4 3 2 1 M	٤٧	٤٩
٨٤	M تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا L	٦٧	٥٤
	سورة التوبة		
٨٥	L % $ # " ! M	٣٢	٩٥
٨٦	L ~ } | { z y x M	٤٦	٩٢
٨٧	M لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا L	٤٧	٩٤
٨٨	L % $ # " ! M	٤٨	٧٨
٨٩	M أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ L	٧٨	٩،٢٣
٩٠	L A @ ? > = M	٨١	٣٢
٩١	L j i h g f e d c b a ` M	٩٢_٩١	٦
٩٢	L n m l k j M	١٠٣	٢٧
٩٣	L J I H G F E D C B M	١١٩	١٠٤
٩٤	L 8 7 6 5 4 3 M	١٢٥_١٢٤	٨٤
	سورة يونس		
٩٥	L 5 4 3 M	٢	١٠٥
٩٦	L | ? > = < ; : M	٢٢	٩٨
٩٧	L | W V U T : M	٢٢	٩٩
٩٨	M إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ © L	٢٤	٥٢،٥
٩٩	L | 0 / . - , M	٥٤	٣٣،٨
١٠٠	L V U T S R M	٥٧	٨٦
١٠١	L f e d c b a M	٥٨	٣٢
	سورة هود		
١٠٢	M أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ L	٥	٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠٣	L L K J I H G M	١٦_١٥	٥٢
١٠٤	L m l k j i h M	١٧	٣٩
١٠٥	M قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ L	٨٨	٩٢
١٠٦	L D C B A @ ? M	١٢٠	٧٩،٨
	سورة يوسف		
١٠٧	L ~ } | { M	١٠	٢١
١٠٨	L m l k j M	١٩	٨
١٠٩	L % $ # " ! M	٢٣	١٧
١١٠	L L K J I H M	٢٤	١٠٠
١١١	L R Q P O N M	٢٤	١٦
١١٢	L 9 8 7 M	٤٦	١٠٣
١١٣	M ۞ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ L	٧٧	١٨،٧
١١٤	L t s r q p M	١٠٩	٧٣
	سورة الرعد		
١١٥	L h g f e d c b a M	١٠	٧
١١٦	L T S R Q P M	٢٢	٩
١١٧	L M L K J I M	٢٤_٢٢	٢٥
١١٨	L M L K J I M	٢٢	٩١
١١٩	M أَلَا â ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ L	٢٨	٦٦
	سورة إبراهيم		
١٢٠	L W V U T M	٣	٩٣
١٢١	L ; : 9 8 7 M	٢١	٦٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٢٢	L y x w v u t M	٣١	٢٤،٩
١٢٣	L a ` _ M	٣٧	٨٠
١٢٤	L e d c b M	٣٧	٣٦
١٢٥	M إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ L	٣٩	٢٢
١٢٦	L # " ! M	٤٣	٨٠
	سورة الحجر		
١٢٧	L Y X W V U T M	٣٩	١٠٠
١٢٨	M وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم ´ µ L	٤٧	١٠،٣
١٢٩	L 4 3 2 1 0 / . M	٩٤	١٤
	سورة النحل		
١٣٠	L N M L K J I H M	١٩	٧،١٩
١٣١	L e d c M	٢٢	٦٤
١٣٢	L x w v u t s r q p M	٢٣	٧
١٣٣	L ~ } | { z M	٢٣	٦٠
١٣٤	L < ; : 9 M	٦٦	٩٦
١٣٥	L K J I H G = M	٧٥	٩
١٣٦	L _ ^] \ [Z Y M	٩٧	٤٣
١٣٧	L R Q P O N M M	١٠٦	٦،٣٥
	سورة الإسراء		
١٣٨	L 5 4 3 2 1 0 / M	٩	٤
١٣٩	L $ # " ! M	١٨	٩،٥٣
١٤٠	L 9 8 7 6 5 4 M	١٩	٥٣
١٤١	L h g f e d c M	٦٢	٦٢
١٤٢	L ^] \ [Z M	٨٠	١٠٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٤٣	L z y x w v u t M	٨٢	٨٦
	سورة الكهف		
١٤٤	L 8 7 6 5 4 M	٦	٧٩
١٤٥	L ; : 9 8 7 6 5 M	٢٨	٤١
١٤٦	M â كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ L	١١٠	٤٥
	سورة مريم		
١٤٧	M) * + , - . L	٣	٢٧
١٤٨	M ! " # L	٣٩	٣٣
١٤٩	M 7 8 9 : L	٤١	١٠٣
١٥٠	M وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا L	٥٠	١٠٥
١٥١	M وَٱذْكُرْ فِي à مُوسَىٰٓ L	٥١	١٠٠
١٥٢	M 1 2 3 4 L	٥٤	١٠٣
١٥٣	M H I J K L	٥٦	١٠٣
	سورة طه		
١٥٤	M k l m L	٧	٢،٨، ٢٠
١٥٥	M قَالَ رَبِّ © لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ L	٢٥	٧٧
١٥٦	M قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ ´ µ ¶ L	٤٦	٢٣
١٥٧	M فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ L	٦٢	٨
١٥٨	M l m n o p q L	١٣١	٥٤
	سورة الأنبياء		
١٥٩	M 8 9 : ; L	٣	٢٣،٨
١٦٠	M ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ © فَأَنجَيْنَٰهُمْ L	٩	١٠٢
١٦١	M لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ ´ µ ¶ L	٢٢	١٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سورة الحج			
١٦٢	L < ; : 9 8 M	٣٢	٧١
١٦٣	L ٱلْأَرْضِ ¸ ¶ µ M	٤٦	٧٤
١٦٤	M ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ L	٤٦	٧٤
١٦٥	L b a ` _ ^] \ [Z Y X M	٥٤_٥٢	٨٤
١٦٦	L y x w v u M	٥٣	٢٨
١٦٧	L - , + *) (M	٧٣	١٩
سورة المؤمنون			
١٦٨	L *) (' & % $ # " ! M	٢_١	٧٤
١٦٩	L H G F E D C B A @ M	٤٧ _٤٥	٦٣
١٧٠	M أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ L	٥٦_٥٥	٥٥
١٧١	L u t s M	٦٨	٧٥
١٧٢	M ´ µ ¶ ¸ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ L	٧١	٤١
سورة النور			
١٧٣	L = < ; : M	١١	٦٠
١٧٤	L 3 2 1 0 / M	٣٧	٧٩
١٧٥	L r q p o n M	٥٠ _٤٨	٨٥
سورة الفرقان			
١٧٦	L X W V U T M	٦	٨
١٧٧	L & % $ # " ! M	٢١	٦٤
١٧٨	L G F E D C B M	٢٣	٦
١٧٩	L k j i h g M	٢٨_٢٧	٣٤
١٨٠	M وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ L	٣٢	٧٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٨١	M أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ L	٤٣	٤١
	سورة الشعراء		
١٨٢	M ( ) * + L	٣	٧٩
١٨٣	M ! " # $ % L	٨٤	١٠٥
١٨٤	M : ; < = > ? @ L	٨٨	٣٣
	سورة القصص		
١٨٥	M j k l m n o L	١٠	٨٠
١٨٦	M G H I J K L	٣٨_ ٣٩	٦٣
١٨٧	M إِنَّ ´ µ ¶ · L	٧٦	٣٢
١٨٨	M @ A B C D E L	٧٩	٥،٥٤
	سورة العنكبوت		
١٧٩	M s t u v w L	٢	١٠٥
١٨٠	M s t u v w L	٢٠	٧٣
١٨١	M 3 4 5 6 7 L	٦٥	٩٨
١٨٢	M p q r s t u L	٦٩	٩٢
	سورة الروم		
١٨٣	M ¶ · ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ L	٤	٣٢
١٨٤	M @ A B C L	٤٣	١٤
	سورة لقمان		
١٨٥	M a b c d e L	٣٢	٩٨
	سورة الأحزاب		
١٨٦	M 4 5 6 7 8 L	٨	١٠٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٨٧	L h g f M	١١ _ ١٢	٨٥
١٨٨	M وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ L	٢٢	١٠٢
١٨٩	L 9 8 7 6 M	٢٤	١٠٤ ١٠٦
١٩٠	L 6 5 4 3 2 1 M	٣٢	٨٢
	سورة سبأ		
١٩١	M ۞ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ L	٣١ _ ٣٢	٦٨
١٩٢	L H G F E D M	٣٣	٨،٣٤
	سورة فاطر		
١٩٣	L r q p o n M	٨	٧٩
١٩٤	M وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً L	٢٩	٩،٢٥
١٩٥	L z y x w M	٤٢ _ ٤٣	٦٥
	سورة يس		
١٩٦	L W V U T S R Q O N M M	٧٦	٧
	سورة الصافات		
١٩٧	L f e d c b M	٣٥	٦٦
١٩٨	L s r q p o n m M	٣٦	٦٦
١٩٩	L ~ } | { z M	٣٨	١٠٠
٢٠٠	M ۞ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ L	٤٣ _ ٤٤	١٠
٢٠١	M فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ L	٧٣ _ ٧٤	١٠٠
	سورة ص		
٢٠٢	M يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ L	٢٦	٣٨
٢٠٣	L E D C B M	٢٩	٧٥
٢٠٤	L ﴿٨٢﴾ ë ê é è M	٨٢	١٠٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٠٥	L 3 2 1 0 / . M	٨٦	٩٧
	سورة الزمر		
٢٠٦	L O N M L KM	٢	٩٧،٩
٢٠٧	L & % $ # " ! M	١١	٩٧
٢٠٨	L A @ ? > = < ; M	١٤	٩٧
٢٠٩	L % $ # " ! M	٢٢	٧٧
٢١٠	L 7 6 5 4 3 M	٣٤	١٠٣
٢١١	L I H G F E D C M	٦٠	٦٨
٢١٢	L R Q P O N M M	٦٠	١٠٦
٢١٣	M وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ L	٧٤	١٠٢
	سورة غافر		
٢١٤	L u t s r M	١٤_١٣	٩٨
٢١٥	M يَوۡمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَىۡءٌ ۚ L	١٦	٣١
٢١٦	L H G F E D C B M	١٩	٥
٢١٧	L [Z Y X W V U T S M	٣٥	٦٨
٢١٨	L m l k j i h M	٥٦	٦٥
٢١٩	M هُوَ ٱلۡحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ L	٦٥	٩٨
٢٢٠	M ذَٰلِكُم بِمَا ´ µ ¶ ¸ L	٧٥	٣٢
٢٢١	L f e d c b M K J I H G 8 7	٨٢	٧٣
	سورة فصلت		
٢٢٢	L ^] \ [Z M	١٥	٦٥
٢٢٣	L ; : 9 8 7 6 5 M	٢٢	٢١
	سورة الشورى		
٢٢٤	L l k j i h g f e M	٢٠	٥٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سورة الزخرف			
٢٢٥	L & % $ # " ! M	٣٤	١٠
٢٢٦	L / . - , + *) M	٣٥	٥٢
٢٢٧	L T S R QP O NM	٨٠	٢٣،٩
سورة الدخان			
٢٢٨	M وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ L	٣٩_٣٨	٤١
سورة الجاثية			
٢٢٩	L b a ` _ ^ M	٨_٧	٦٦
٢٣٠	L w v u t s M	٩	٦٦
٢٣١	L l k j i h g M	١٨	٣٨
٢٣٢	L % $ # " ! M	٢٣	٤١
٢٣٣	L @ ? >=< ; M	٢٤	٥٦
سورة الأحقاف			
٢٣٤	M وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ L	٢٠	٥٤
٢٣٥	M كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ L	٣٥	٥٤
سورة محمد			
٢٣٦	L M L K J I H M	١٤	٣٩
٢٣٧	L I H G F E D M	٢١	١٠٤
٢٣٨	L c b a M	٢٤	٧٥
٢٣٩	M سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ L	٢٦	١١،٨
٢٤٠	L 8 7 6 M	٣١	٣١
سورة الحجرات			
٢٤١	M ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ L	١٥	١٠٥
سورة الطور			
٢٤٢	L T S R Q O N M L M	٢٠	١٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٤٣	L X W V U M	٢١	٢٦
	سورة النجم		
٢٤٤	L $ # " ! M	١	٣٦
٢٤٥	L Q P O N M L M	١٠_ ١١	٧٨
٢٤٦	L C B A @ ? > M	٢٩_ ٣٠	٥٦
	سورة القمر		
٢٤٧	L ? > = < ; : M	٥٤	١٠٥
	سورة الرحمن		
٢٤٨	M هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ´ µ L	٦٠	٧٢
	سورة الواقعة		
٢٤٩	M ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ´ µ ¶ ¸ ﴿١٤﴾ L	١٣ _ ١٤	١٠
	سورة الحديد		
٢٥٠	Mهُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ L	٣	١٩
٢٥١	M \ ] ^ _ ` a b L	٢٠	٥٢
	سورة المجادلة		
٢٥٢	L & % $ # " ! M	١	٢٢
٢٥٣	M © بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ L	٩	٢٣
	سورة الحشر		
٢٥٤	Mلِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ L	٨	١٠٥
٢٥٥	L 3 2 1 0 / . - M	١٠	٣٣
	سورة الممتحنة		
٢٥٦	L ? > = < ; : M	١	١١،٧
٢٥٧	L E D C M	١	٩٢
	سورة الصف		
٢٥٨	L X WV U T M	٨	٩٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٥٩	L } | { z y x w v u t M	٣	٦
	سورة المنافقون		
٢٦٠	L & % $ # " ! M	٥	٦٥
٢٦١	L r q p o n m M	٩	٥٧
	سورة التغابن		
٢٦٣	L V U T S R Q P O N M M	٤	٧
	سورة التحريم		
٢٦٤	L F E D C B A @ M	٣	١١،٧ ١٥
٢٦٥	L Q P O N M M	٣	
٢٦٦	L f e d c b a ` M	٤	٧٩
	سورة الملك		
٢٦٧	M وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ L	١٠	٣٤
٢٦٨	L + *) (' % $ # " ! M	١٣	٨
	سورة نوح		
٢٦٩	M وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ L	٧	٦٥
٢٧٠	M ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ L	٩	١٦،٢
٢٧١	L 6 5 4 3 2 1 0 M	١٣	٧٢
	سورة الجن		
٢٧٢	M عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ L	٢٦	٢١
	سورة المدثر		
٢٧٣	L (' & % $ # " ! M	١٨ _ ١٩	٦٤
٢٧٤	L | { z y x M	٣١	٨٢
	سورة الإنسان		

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٧٥	M هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ L	١	٥١
٢٧٦	L C B A@ ? >=< ; : 9M	٩	٤٨
٢٧٧	L P O NM L M	١١	٣٢،٩
	سورة المرسلات		
٢٧٨	M ۚ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ L	١٥	١٠٦
	سورة النازعات		
٢٧٩	M فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا L	٣٧ _ ٣٨	٥٣
٢٨٠	M وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ L	٤٠ _ ٤١	٤٣
	سورة الانشقاق		
٢٨١	L Y X W V U M	٩	٣٢،٩
٢٨٢	L m l k j i h M	١٣	٣٢،٩
	سورة الطارق		
٢٨٣	L K J I HM	٩	،٩،٤
	سورة الغاشية		
٢٨٤	L n m l k M	١٣	١٠
	سورة الشرح		
٢٨٥	L y x w v u M	١	٧٧
	سورة البينة		
٢٨٦	L l k j i h M	٥	٩٦،٥
	سورة التكاثر		
٢٨٧	L a ` _ ^] \ [M	٢ _ ١	٥٤
	سورة الماعون		
٢٨٨	L U T S R Q P O M	٦ - ٧	،٤٦ ٤٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا : فهرس الأحاديث النبوية

مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١.	أثقل الصلاة على المنافقين العشاء والفجر	٥٠
٢.	اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي	٢٢
٣.	أنا أغنى الشركاء عن الشرك	٤٨
٤.	إن أقواما بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعبا ولا واديا إلا وهم معنا.....	٩٥
٥.	إن أناسا كانوا يأخذون بالوحي	٤
٦.	أن التعريض مثل أن يقول	٣١
٧.	إن الدعاء هو العبادة	٢٩
٨.	إن الصدق يهدي إلى البر	١١٠
٩.	إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها	٩٩
١٠.	إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم	٤
١١.	البيعان بالخيار ما لم يفترقا	١١٠
١٢.	تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا	٨٨
١٣.	جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا	٨٤
١٤.	جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : الرجل يقاتل للمغنم	٥٢
١٥.	جاء المخلفون ، فطفقوا يعتذرون إليه	٣
١٦.	الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات	٢٤
١٧.	سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله	٢٦
١٨.	فإذا هو قد أعطي شطر الحسن	١٨
١٩.	قتلوه قتلهم الله ، ألا سألوا إذ لم يعلموا	٩٠
٢٠.	كان النبي يشرب عسلا	١٥
٢١.	لا ومقلب القلوب	٨١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٢.	لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر.....	**٦٣**
٢٣.	لكل غادر لواء ينصب بغدرته	**٣٤**
٢٤.	ليس الشديد بالصرعة	**١٩**
٢٥.	ما الدنيا في الأخرة إلا أن يجعل أحدكم إصبعه في اليم ...	**٥٤**
٢٦.	مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله	**٢٣**
٢٧.	من سمع سمع الله به	**٤٧**
٢٨.	من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا	**٩٥/٥٢**
٢٩.	ياأيها الناس أربعوا على أنفسكم	٣٠
٣٠.	يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر	**٤٩/٣**
٣١.	يخلص المؤمنون فيحبسون على قنطرة	**٣٦**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: فهرس الأعلام

مسلسل	اسم العلم	رقم الصفحة
١	حاطب بن أبي بلتعة	٣٢
٢	عبد الرحمن بن علي بن الجوزي	٢
٣	كعب بن مالك	٣
٤	محمد بن أبي بكر قيم الجوزية	١٧
٥	معن بن زائدة	١٢
٦	الوليد بن المغيرة	٦٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً : فهرس المراجع

١. أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل بيروت-لبنان-ط ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٢. إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المكتبة التجارية الكبرى مصر .

٣. الأدب المفرد تصنيف الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري بتخريجات وتعليقات الشيخ أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني ، دار الصديق – المملكة العربية السعودية، ط١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لمحمد بن محمد بن مصطفى العمادي أبي السعود دار الفكر .

٥. أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري . الهيئة المصرية العامة للكتاب ط١٩٨٥م .

٦. أسباب النزول للشيخ أبي الحسن على بن أحمد الواحدي النيسابوري- عالم الكتب- بيروت.

٧. الإصابة في تمييز الصحابة تأليف شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد علي العسقلاني ثم المصري الشافعي المعروف بابن حجر ت – ٨٥٢هـ . دار الفكر بيروت . ط ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض طبعة ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

٩. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين تأليف منير الدين، الزرقاء، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط ١٩٨٩م.

١٠. إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) المكتبة العصرية . بيروت – لبنان – ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

١١. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية دار المعرفة بيروت لبنان .

١٢. البحر المحيط لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط٢٠٠١م ، ١٤٢٢هـ.

١٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تأليف محمد بن يعقوب الفيروزابادى – تحقيق محمد علي النجار القاهرة ١٣٨٧هـ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٤. البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرون . دار الكتب العالمية بيروت لبنان، ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
١٥. البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركش دار الفكر بيروت لبنان، ط ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
١٦. تاج العروس من جواهر القاموس للإمام اللغوي محب الدين السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي .
١٧. تأملات في سورة الأنعام لحسن محمد باجودة .
١٨. التحرير والتنوير للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور دار سحنون – تونس
١٩. التعريفات تأليف السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرحاني الحنفي . دار الكتب العالمية بيروت لبنان .
٢٠. تفسير الجلالين لمحمد بن أحمد بن محمد المحلي وعبد الرحمن أبي بكر السيوطي، دار المنار القاهرة .
٢١. تفسير القرآن العظيم للإمام إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي مكتبة دار التراث – القاهرة
٢٢. التفسير الكبير للإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين البكري الطبرستاني – دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .
٢٣. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي دار الفكر دمشق سوريا ط ١٤١١هـ _ ١٩٩١م .
٢٤. تفسير تنوير الأذهان من تفسير روح البيان تأليف الشيخ إسماعيل حقي البروسوي دار الصابوني . القاهرة ط ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٢٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي . مكتبة الصفا القاهرة ط ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٢٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري – دار السلام . جمهورية مصر العربية ط١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م .
٢٧. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي دار الكاتب العربي القاهرة . ط ١٣٨٧هـ -١٩٦٧م .
٢٨. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم للإمام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الدمشقي دار المنار القاهرة ط ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٩. حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة تأليف سيد سعيد عبد الغني دار ابن حزم – بيروت لبنان ط ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م .
٣٠. ديوان أبي العتاهية دار صادر بيروت ط ١٤٠٠هـ _ ١٩٨٠م .
٣١. ديوان شعر الأحوص الأنصاري جمع د.إبراهيم السامرائي مكتبة الأندلس بغداد، ط ١٣٨٩هـ -١٩٦٩م .
٣٢. ذم الهوى للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي دار الكتاب العربي بيروت ط ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٣٣. رسائل الجاحظ، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت،ط١٤١١هـ-١٩٩١م.
٣٤. الروح للإمام العلامة الحافظ ابن قيم الجوزية دار احياء الكتب العربية القاهرة .
٣٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادي دار الفكر بيروت ط١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.
٣٦. روضة المحبين ونزهة المشتاقين للعلامة محمد بن أبي بكر قيم الجوزية مكتبة الصفا القاهرة، ط ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٣٧. سنن أبي داوود سليمان ابن الأشعث السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
٣٨. سير أعلام النبلاء للإمام محمد بن أحمد الذهبي مكتبة الصفا – القاهرة، ط١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٣٩. شرح العقيدة الطحاوية للعلامة بن أبي العز الحنفي المكتب الإسلامي بيروت ط ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٤٠. شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية شرحه سماحة الشيخ محمد الصالح العثيمين دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية، ط ١٤١٧هـ.
٤١. شرح النووي على صحيح مسلم للإمام محي الدين أبي زكريا يحيي بن شرف النووي دار الفجر للتراث – القاهرة ط١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
٤٢. صحيح ابن خزيمة محمد بن إسحاق أبو بكر السلمي النيسابوري-تحقيق محمد مصطفى الأعظمي-المكتب الاسلامي-بيروت١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
٤٣. صحيح البخاري للإمام الحافظ ابن عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري بيت الأفكار الدولية الرياض ط ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤٤. صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري دار الفكر ط١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٤٥. صيد الخاطر للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي دار الحديث القاهرة ط ١٤١٩هـ _ ١٩٩٩م .
٤٦. الطب الروحاني للإمام عبد الرحمن بن الجوزي مكتبة الإيمان – المنصورة .
٤٧. طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية دار ابن رجب المنصورة ، ط١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٤٨. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية مكتبة الإيمان المنصورة ط ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٤٩. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للشيخ بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني دار الفكر – القاهرة .
٥٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني دار المنار القاهرة ط ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
٥١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير تأليف الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني القاهرة دار الحديث ط ١٤١٣هـ _ ١٩٩٣م .
٥٢. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ دار إحياء الكتب العربية القاهرة .
٥٣. الفوائد تأليف الإمام ابن قيم الجوزية تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار إحياء الكتب العربية
٥٤. في ظلال القرآن لسيد قطب دار الشروق القاهرة ط ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
٥٥. القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ط١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .
٥٦. القيامة الكبرى للدكتور عمر سليمان الأشقر دار النفائس – الأردن ط١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٥٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، مكتبة مصر جمهورية مصر العربية .
٥٨. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي وضع فهارسه د . عدنان درويش ، محمد المصري مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥٩. لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي دار المنار القاهرة.
٦٠. اللباب في تهذيب الأنساب تأليف عز الدين ابن الأثير الجزري دار صادر بيروت ط١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
٦١. لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور دار صادر بيروت .
٦٢. مختار الصحاح للشيخ محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي دار الحديث القاهرة
٦٣. مختصر منهاج القاصدين تأليف الإمام الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي . مكتبة دار البيان دمشق ط ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.
٦٤. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية مكتبة الإيمان المنصورة ط ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
٦٥. معجم لغة الفقهاء د. محمد رواس قلعجي تحقيق د. حامد صادق قنيبي دار النفائس ط١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٦٦. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق عبد السلام محمد هارون دار الجيل بيروت ط ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
٦٧. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة للإمام أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية مكتبة الصفا القاهرة ط ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
٦٨. المفردات في غريب القرآن تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف الراغب الأصفهاني وتحقيق وضبط محمد سيد كيلاني دار المعرفة بيروت لبنان .
٦٩. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي مؤسسة الرسالة – بيروت ط ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
٧٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
٧١. النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير بيت الأفكار الدولية .
٧٢. وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان تحقيق د. إحسان عباس دار صادر بيروت .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامساً : فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	ا
شكر وتقدير	ب
المقدمة	ت
التمهيد	
أولا :السريرة لغةً واصطلاحاً	١
ثانيا : عناية القرآن بأعمال الباطن	٤
ثالثا : ورود لفظة الإسرار ومشتقاتها في القرآن الكريم	٦
رابعا: ملاحظات ولطائف ما سبق	١٠
الفصل الأول : ذكر السريرة في القرآن الكريم	
المبحث الأول : الإسرار عند الأنبياء	١٤
المطلب الأول : إسرار النبي صلى الله عليه وسلم	١٤
أولا : إسراره صلى الله عليه وسلم بالدعوة	١٤
ثانيا : إسراره صلى عليه وسلم لبعض أزواجه	١٥
المطلب الثاني : إسرار نبي الله نوح عليه السلام في دعوة قومه	١٦
المطلب الثالث : إسرار يوسف عليه السلام	١٧
أولا : نقاء سريرته عند مراودة امرأة العزيز له	١٧
ثانيا : إسراره مع إخوته عند اتهامهم له بالسرقة	١٨
المبحث الثاني : علاقة السر بصفتي العلم والسمع لله	٢٠
المطلب الأول : علم الله بالسر والجهر	٢٠
المطلب الثاني : علم الله بالسر في السماوات والأرض	٢٢
المطلب الثالث : سمع الله للسر والنجوى	٢٤
أولا : المراد بالسمع	٢٤
ثانيا : الفرق بين السر والنجوى	٢٥
المبحث الثالث : مجالات الإسرار	٢٦
المطلب الأول : الإسرار في الإنفاق	٢٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا : بيان فضل الصدقة في السر والعلن ٢٦
ثانيا : بيان التفاضل في نفقة السر والعلن ٢٨
المطلب الثاني : الإسرار في الدعاء..... ٢٩
المطلب الثالث : الإسرار بمواعدة النساء ٣١
المطلب الرابع :الإسرار بالمودة ٣٣
المبحث الرابع : السريرة يوم القيامة ٣٥
المطلب الأول : ابتلاء السرائر يوم القيامة ٣٥
المطلب الثاني : السرور يوم القيامة ٣٦
المطلب الثالث : نزع الغل من صدور أهل الجنة ٣٧
المطلب الرابع : إسرار الندامة عند رؤية العذاب ٣٨
الفصل الثاني : أدواء السريرة
المبحث الأول : اتباع الهوى ٤١
المطلب الأول : الهوى لغةً واصطلاحاً ٤١
المطلب الثاني : ذم اتباع الهوى ٤٢
المطلب الثالث :عواقب اتباع الهوى ٤٤
المطلب الرابع : عقبى مخالفة الهوى ٤٧
المبحث الثاني : الرياء ٤٩
المطلب الأول : الرياء لغةً واصطلاحاً ٤٩
المطلب الثاني : علاقة الرياء بالعقيدة والعمل ٥٠
المطلب الثالث : علاقة الرياء بمحق الأجر والثواب ٥٢
أولا : بطلان أجر الصلاة ٥٢
ثانيا : بطلان أجر الإنفاق ٥٣
ثالثا : بطلان أجر الجهاد ٥٤
المبحث الثالث : إيثار الحياة الدنيا ٥٦
المطلب الأول : التعريف بالدنيا ٥٦
المطلب الثاني : ذم إيثار الحياة الدنيا ٥٧
المطلب الثالث :أسباب إيثار الحياة الدنيا ٦١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث :أعمال السريرة بين التخلية والتحلية

المبحث الأول : التخلية ٦٥
المطلب الأول : الكبر ٦٥
أولا : الكبر لغةً واصطلاحاً ٦٥
ثانيا : أمثلة قرآنية على الكبر ٦٦
ثالثا : حوار المستكبرين والمستضعفين ٧١
رابعا : عواقب الكبر ٧٣
المطلب الثاني : حب المدح مع ترك الفعل ٧٣
المطلب الثالث : كتم الشهادة ٧٤
المبحث الثاني : التحلية ٧٦
المطلب الأول : تعظيم شعائر الله ٧٦
المطلب الثاني : السير في الأرض ٧٨
المطلب الثالث : تدبر القرآن ٧٩
المبحث الثالث : حقائق قرآنية عن أعمال السرائر ٨٢
المطلب الأول : انشراح الصدر ٨٢
المطلب الثاني : وقفات قرآنية عن أعمال السرائر ٨٤
المطلب الثالث : أسباب أمراض القلوب ومظاهرها وعلاجها..... ٨٨
أولا : أسباب أمراض القلوب ٨٨
ثانيا : ملامح أمراض القلوب في القرآن ٨٩
ثالثا : علاج أمراض القلوب ٩٢

الفصل الرابع دواء السريرة

المبحث الأول : النية ٩٥
المطلب الأول :النية لغةً واصطلاحاً ٩٥
أولا: النية لغةً ٩٥
ثانيا :النية اصطلاحاً ٩٥
المطلب الثاني : مجال النية في القرآن ٩٦
أولا : ابتغاء مرضات الله والدار الآخرة ٩٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا : إرادة الخروج للجهاد في سبيل الله ٩٨
ثالثا : إرادة الإصلاح ٩٩
المبحث الثاني : الإخلاص ١٠٢
المطلب الأول :الإخلاص لغةً واصطلاحاً ١٠٢
المطلب الثاني : الخطاب القرآني للنبي صلى الله عليه وسلم بالإخلاص ١٠٣
المطلب الثالث : ارتباط الإخلاص بالعبادة والدعاء ١٠٤
أولا : دعوة القرآن إلى إخلاص الدين لله ١٠٤
ثانيا : الإخلاص في اليسر والعسر ١٠٥
ثالثا : علاقة الإخلاص بإيمان أهل الكتاب وتوبة المنافقين ١٠٥
المطلب الرابع : المخلَصون والمخلِصون ١٠٦
المبحث الثالث : الصدق ١٠٨
المطلب الأول :الصدق لغةً واصطلاحاً ١٠٨
المطلب الثاني : ارتباط الصدق بالله تعالى ١٠٩
المطلب الثالث : صدق الرسل ١١٠
المطلب الرابع : الدعوة إلى الصدق في القرآن الكريم ١١١
المطلب الخامس : ثواب الصدق يوم القيامة ١١٤
الخاتمة ١١٥
أولا: فهرس الآيات القرآنية ١١٩
ثانيا : فهرس الأحاديث النبوية ١٣٥
ثالثاً : فهرس الأعلام ١٣٧
رابعاً : فهرس المراجع ١٣٨
خامساً : فهرس الموضوعات ١٤٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com